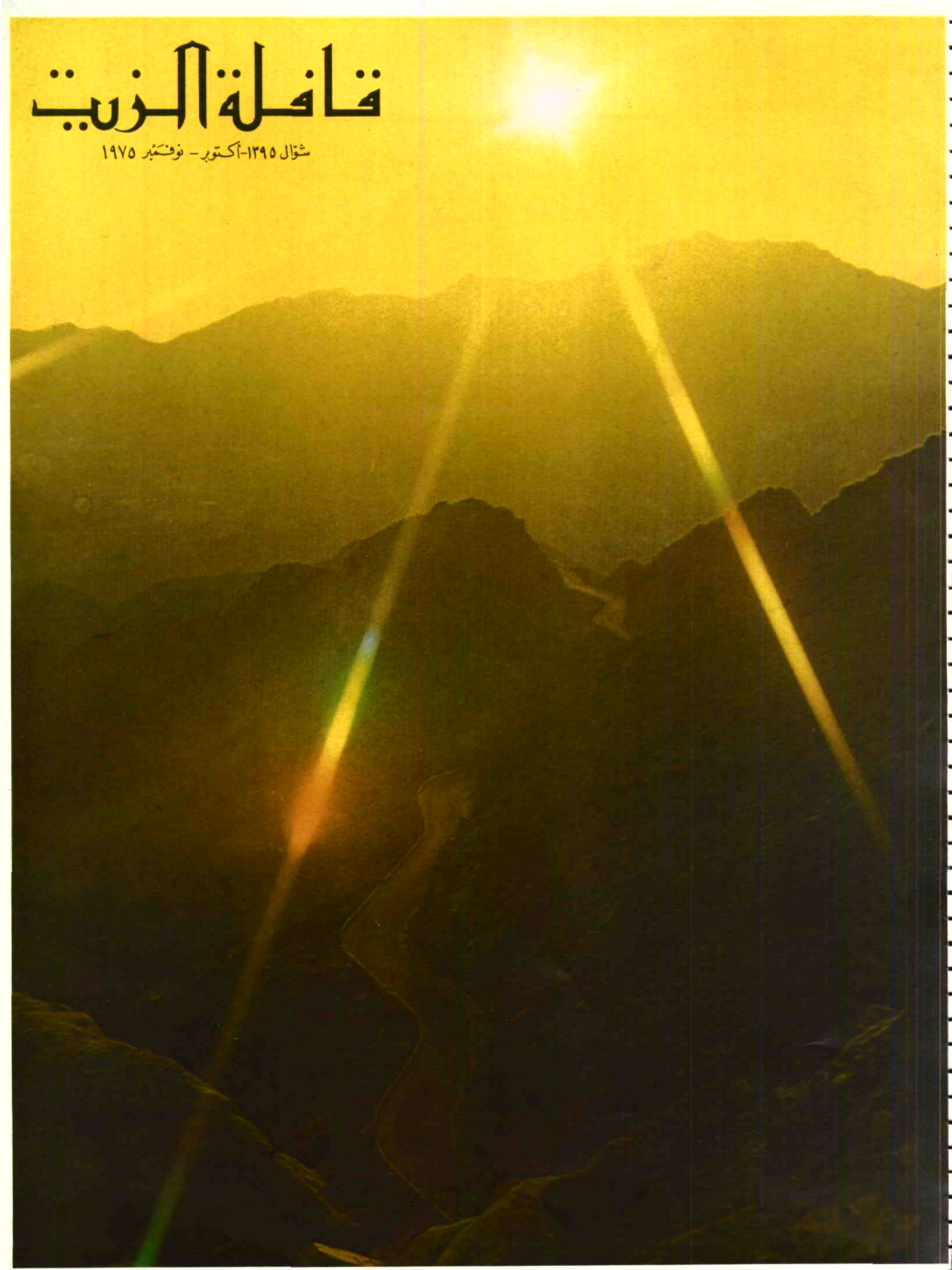

قافلة الزيت
شوال ١٣٩٥-أكتوبر- نوفمبر ١٩٧٥



سد عكرمة في الطائف من منجزات وزارة الزراعة والمياه .

تصوير : شيخ أمين

بسم الله الرحمن الرحيم

قافلة الزيت

تصدر شهرياً عن شركة أرامكو لموظفيها

إدارة العلاقات العامة - توزع مجاناً

العنوان: صندوق البريد رقم ١٣٨٩ - الظهران - المملكة العربية السعودية

المدير العام: فيصل محمد البسام المدير المسؤول: عبد الله صالح جمعة

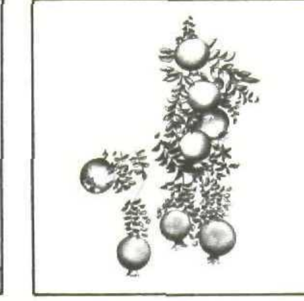
رئيس التحرير: عبد الله حسين الغامدي المحرر المساعد: عوني أبو كشك

العدد العاشر المجلد الثالث والعشرون

محتويات العدد

بحوث ادبية





بحوث علمية







استطلاعات مصورة




التعليق على صورة الغلاف

شمس الأصيل حيث تضفي اشعتها الذهبية منظراً خلاباً على طريق الطائف – مكة .
راجع مقال : الطائف عروس المصايف
تصوير : شيخ امين

تصميم وطباعة شركة مطابع المطوع – الدمام

عيد مبارك

إنه من بواعث غبطتي أن انتهز فرصة حلول عيد الفطر المبارك لأقدم لزملائي المسلمين من موظفي «أرامكو» ولأفراد عائلاتهم أخلص التهاني وأطيب التمنيات ... أعاده الله عليهم بالخير والبركات .

وكل عام وانتم بخير .

ف . جنقز

رئيس مجلس الادارة

كل عام وأنتم بخير

يستقبل المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها حلول عيد الفطر المبارك بالبهجة والسرور ، ويطيب لهيئة التحرير أن تغتنم هذه المناسبة السعيدة لترفع إلى جلالة الملك المعظم خالد بن عبد العزيز وولي عهده الكريم وإلى المسلمين كافة أحر التهاني وأسمى الأماني ضارعة إلى المولى عز وجل أن يعيدهم إلى أمثاله رافلين في أثواب الخير واليمن والاقبال .

وكل عام وأنتم بخير

هيئة التحرير

من قواعد الولاية في الاسلام

بقلم : الأستاذ ظافر القاسمي



القَصْدُ

قال عمر بن عبد العزيز (١) : دلوني على رجل من أهل مصر ، له شرف وصلاح أوليه صلاتها . فقيل له : بها رجلان : معاوية ابن عبد الرحمن بن معاوية بن حديج ، وأيوب ابن شرحبيل . قال : أي الرجلين أقصد ؟ قالوا : أيوب . قال : فهذا أريد .

والقصد في اللغة : العدل . وعلى هذا المعنى فان عمر بن عبد العزيز قد توخى أعدل الرجلين ، فسماه لولاية مصر .

والقصد في اللغة أيضاً : خلاف الافراط ، وهو ما بين الاسراف والتقتير .

وفي أساس البلاغة : قصد في الأمر : اذا لم يجاوز فيه الحد ورضي بالتوسط ، لأنه في ذلك يقصد الاسد .

وعلى هذا المعنى الثاني فان عمر بن عبد العزيز يتوخى أكثر الرجلين مرونة ، وتوسطاً في تصريف الأمور . وقد جرى في ذلك على سنة جده عمر بن الخطاب الذي كان يقول : شدة في غير عنف ، ورحمة في غير ضعف . ومنه المثل المشهور : لا تكن يابساً فتكسر ، ولا ليناً فتعصر .

والمعنى الأول داخل في مفهوم « الامانة » التي تناولناها في البند الأول من هذا البحث . أما المعنى الثاني وهو « التوسط » ، فهو الصفة المميزة لرجل الادارة في هذا العصر .

ولا ريب في أن مفهوم الادارة الحديث ملتصق كل الالتصاق بهذا المعنى الذي اراده خامس الخلفاء الراشدين : عمر بن عبد العزيز . فقد تعرض أمور للموظف الاداري ، لا يرى فيها مناصاً من أن يقارب بين المتباعدين ، وأن يؤلف بين القلوب ، تدعوه إلى ذلك مصلحة عامة للمجتمع الذي يسوسه ويديره . فهو لا يحيد عن مبادىء الحق من جهة ، ولكنه في لجوئه إلى « القصد » يعمل على تهيئة الوسائل التي تؤدي إلى صفاء الأجواء بعد تعكير ، وإلى سلامتها من جهة ثانية .

وإذا قيل في هذه الأيام عن موظف انه « اداري » ، فلقد كان يقال عن هذا العامل في التاريخ العربي انه « قاصد » .

البصر بالعمل

«كان عمر بن الخطاب يستعمل قوماً ، ويدع أفضل منهم لبصرهم بالعمل » . (٢) والتفضيل هنا انما يعني أن أولئك الذين تركهم عمر ، كانوا أفضل ديناً ، وأكثر ورعاً ، وأكرم أخلاقاً . ولكن خبرتهم في تصريف الأمور أقل من غيرهم . فليس من الضروري أن يجتمع الأمران كلاهما معاً .

وهذه القاعدة التي وضعها عمر ، ما زالت متبعة حتى اليوم ، في أرقى الدول ، ذلك بأن المتدين الورع الخلوق ، اذا لم تكن له بصيرة في شؤون الحكم ، قد يكون عرضة لخديعة أصحاب الأهواء والمضللين .

أما المحنك المجرب ، فانه يعرف من النظرة السريعة ، معاني الألفاظ ، وما وراء معاني الألفاظ . وهذا السبب نفسه دعا عمر ابن الخطاب أيضاً لاستبعاد رجل لا يعرف الشر . فلقد (٣) سأل عن رجل أراد أن يوليه عملاً فقيل له : يا أمير المؤمنين : انه لا يعرف الشر . فقال عمر لمخاطبه : ويحك ! ذلك أدنى ان يقع فيه .

وهذا لا يعني ان يكون العامل غير متصف بالقوة والأمانة والعلم والكفاية وغيرها من الصفات التي يستلزمها منطق الادارة والحكم . وإنما يقع التفاضل بين هذه الصفات ، ويكون الرجحان لما سماه عمر بن الخطاب « البصر بالعمل » .

---

(١) الولاة والقضاة للكندي – ص٦٧ . (٢) ابن الجوزي – ص٤٤ . (٣) تذكرة ابن حمدون – ص٢٦ .

أهل الوبر وأهل المدر

وكان عمر ينظر . حين تعيين أحد عماله . إلى بعض الخصائص والطباع والعادات والأعراف فلقد عرف انه كان ينهى عن استعمال رجل من أهل الوبر على اهل المدر (١) . وأهل الوبر هم ساكنوا الخيام . وأهل المدر هم ساكنو المدن . وهذه نظرة اجتماعية سلوكية في اختيار الموظفين . فلكل من أهل الوبر والمدر طبائع وخصائص واخلاق وعادات واعراف مختلفة . ومن الطبيعي أن يكون العامل عارفاً بنفسية الرعية . وليس من العدل ان تولي رجلاً جاهلاً بها ، فقد يرى العرف نكراً ، وقد يرى الطبيعي غريباً ، فيؤدي ذلك إلى غير ما يتوخاه المجتمع من أهداف يسعى إلى تحقيقها .

تعيين العمّال في عصر الرسول

التولية في غيابه

كان الرسول صلى الله عليه وسلم المرجع الوحيد للناس كافة ، في شؤون دينهم و دنياهم في مكة ، وبعد هجرته إلى المدينة . ولم يجد في السنة الأولى حاجة لتولية أحد من الناس أي عمل من الأعمال ، لأن المجتمع كان صغيراً ، وكان قادراً وحده على ادارة شؤون الدولة الناشئة . فلما كانت السنة الثانية من الهجرة (٢) ، «غزا بنفسه في ربيع الأول غزوة الأبواء (٣) ، واستخلف على المدينة حين خرج اليها «سعد ابن عبادة» سيد الخزرج . وعلى هذا فباستطاعتنا ان نعتبر ان اول عامل للرسول في الاسلام هو سعد بن عبادة ، وانما دعت الضرورة لاستعماله بسبب غياب الرسول ، ولا بد للناس من رجل يؤمهم في الصلاة ، كما انه لا بد لهم من راع يهتم بشؤونهم اليومية . واذا كانت الاختصاصات التي منحها الرسول لسعد بن عبادة لم تذكر في كتب السيرة ، فاننا نستطيع ان نستنتج من النصوص أن سعداً كان يؤم المسلمين في الصلاة ، وكان يجري الأمور بين الناس فيما ألفوه ، وانه اذا وقع امر يحتاج إلى شيء من التدبر ، أرجأه إلى حين عودة الرسول . ولا ريب عندنا في أن استخلاف سعد ابن عبادة كان استخلافاً شفهياً لم يكتب به عهد .

غير ان غيبة الرسول لم تطل أكثر من خمسة عشر يوماً ، عاد بعدها إلى المدينة . فلما خرج «في مئتين من أصحابه ، حتى بلغ بواط (٤) في شهر ربيع الأول ايضاً ، استخلف على المدينة سعد بن معاذ» سيد الأوس .

وانت تعلم انه كان في المدينة قبل الهجرة قبيلتان كبريان ، هما الأوس ورئيسها سعد بن معاذ ، والخزرج ورئيسها سعد بن عبادة . وقد رأى الرسول صلى الله عليه وسلم ان يتعاقب الرئيسان على ولاية الأمور في غيابه ، خلال شهر واحد من سنة واحدة . وفي ذلك من الحكمة والسداد ما يتفق مع المصلحة العامة الواضحة . ولا نعلم ان اعتراضاً ما ، خفياً أو ظاهراً ، قد وقع على هذه التسمية ، من أي فريق كان .

فلما كانت السنة الثامنة للهجرة . وبعد ان انتهت غزوة هوازن بحنين (٥) «رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، واستخلف أبا بكر على أهل مكة ، وأمره أن يقيم للناس الحج ، ويعلم الناس الاسلام ، وأمره أن يؤمن من حج من الناس» .

هذا نص بين أيدينا يوضح اختصاصات الوالي في الاسلام . فهو يقيم للناس الحج ، ويعلم الناس الاسلام ، ويعمل على أمن الحجيج . ولكن هل كانت هذة الاختصاصات على سبيل الحصر ، ام كانت على سبيل التأكيد ؟ . ذلك بأنه لا يعقل ان لا يبت أبو بكر في أي خلاف ممكن بين الناس ، وبين مكة — مركز عمله — والمدينة خمسمائة كيلومتر . ونحن نميل إلى الاعتقاد بأن الرسول صلى الله عليه وسلم انما استخلف أبا بكر ليقوم بكل ما تقتضي المصلحة القيام به ، وإنما أكد على الأمور الثلاثة التي أشار اليها .

التولية في حضوره

ولما وقعت غزوة بدر الكبرى في السنة الثانية للهجرة ، أصاب المسلمون فيها غنائم كثيرة ، وحينما انتهت الغزوة (٦) «أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم قافلاً إلى المدينة ، فاحتمل معه النفل (٧) الذي أصيب من المشركين ، وجعل على النفل عبدالله بن كعب . ثم أقبل حتى اذا خرج من مضيق الصفراء ، نزل على كثيب بين المضيق وبين النازية يقال له سَيَر إلى سرحة به ، فقسّم هنالك النفل على السواء .»

وفي هذا النص دلالة على ان الرسول أخذ يعلم الناس التنظيم . فلقد جمعت الغنائم في مكان واحد ، وجاء كل واحد من المجاهدين بما عثر عليه ، ثم أودعت هذه الغنائم كلها إلى رجل واحد هو عبدالله بن كعب . فهو بمثابة أمين مستودع في هذه الأيام . وبذلك تغيرت القاعدة التي سنها الرسول في أول الأمر يوم قال : «من قتل قتيلاً فله سلبه» ، أي ما يجد عليه من المال وغيره . وأصبحت الغنائم منذ السنة الثانية للهجرة ملكاً للجماعة . ونلاحظ من هذا النص ان الرسول لم يعهد لأحد بقسمتها وتوزيعها ، وإنما وزعها هو نفسه على السواء .

خروج الأمراء والعمال على الصدقات

ولما فرضت الزكاة ، وتسمى في اللغة «صدقة» أيضاً ، وبذلك نزل قوله تعالى :

---

(١) طبري — ٥٩٥/٣ . (٢) طبري — ٤٠٧/٢ . (٣) الأبواء : قرية من أعمال الفرع من المدينة ، بينها وبين الجحفة مما يلي المدينة ثلاثة وعشرون ميلا (معجم البلدان) . (٤) هو جبل من جبال جهينة (معجم البلدان) . (٥) طبري — ٨٢/٣ . (٦) طبري — ٤٥٨/٢ .
(٧) النفل : الغنيمة .

« إنما الصدقـات للفقراء والمساكين . . . » وجد الرسول حاجة لجبايتها ممن يجب عليهم اداؤها ، ولا سيما ممن كان مقيماً بعيداً عن المدينة . وقد وجب ذلك استيفاء لحق بيت المال من جهة ، ورحمة بالناس لئلا يكلفوا حملها إلى بيت المال من جهة ثانية . روى الطبري (١) : « ان الرسول بعث امراءه وعماله على الصدقات ، على كل ما أوطأ الاسلام من البلدان .

فبعث المهاجر بن أمية إلى صنعاء .

وبعث زياد بن لبيد إلى حضرموت .

وبعث عدي بن حاتم على صدقة طيء وأسد .

وبعث مالك بن نويرة على صدقات بني حنظلة .

وفرق صدقة بني سعد على رجلين منهم .

وبعث العلاء بن الحضرمي على البحرين .

وبعث علي بن أبي طالب إلى نجران ليجمع صدقاتهم ، ويقدم عليهم بجزيتهم .

وكلمة امراء الواردة في هذا النص جمع أمير ، لا تعني إلا الجابي وهي مرادفة للعامل أيضاً.

أمراء الرسول

وفي الطبري روايتان عن الأمراء الذين عينهم الرسول على الأقاليم ، ثم توفي وهم في اعمالهم (٢) . وسنعتمد الثانية لأنها أدنى . قال الطبري :

« توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى مكة وارضها عتّاب بن أسيد (٣) والطاهر ابن أبي هالة عتاب على بني كنانة ، والطاهر على عكّ . (وذلك ان النبي قال : اجعلوا عمالة عك في بني ابيها معد بن عدنان) .

« وعلى الطائف وأرضها عثمان بن ابي العاص (٤) ومالك بن عوف النصري (٥) : عثمان على أهل المدر ، ومالك على أهل الوبر ، اعجاز هوزان » .

« وعلى نجران وارضها عمرو بن حزم (٦) وأبو سفيان بن حرب : عمرو بن حزم على الصلاة ، وأبو سفيان بن حرب على الصدقات .

« وعلى ما بين رقع وزبيد إلى حد نجران خالد بن سعيد بن العاص » (٧)

« وعلى همدان كلها عامر بن شهر » .

« وعلى صنعاء فيروز الديلمي (٨) » ، يسانده واذويه وقيس بن المكشوح .

« وعلى الجند يعلى بن أمية » . (٩)

« وعلى مأرب ابو موسى الأشعري » .

« وعلى الاشعريين مع عك : الطاهر بن أبي هالة ، ومعاذ بن جبل يعلّم القوم ، يتنقل في عمل كل عامل » .

كيف كان يتم التعيين أيام الرسول

مرّ معنا ان استخلاف سعد بن معاذ وسعد ابن عبادة على المدينة كان شفهياً ، لأننا لم نعثر على نص هذا الاستخلاف . غير اننا نجد في كتب السيرة والحديث والتاريخ أمثلة كثيرة على نصوص مكتوبة ، تسمى « عهداً » أملاها الرسول صلى الله عليه وسلم على بعض كتابه تتضمن تسمية أمير أو وال على منطقة معينة ، وهي موجهة إلى الناس ، كما هي موجهة إلى الأمير . وهذه العهود شبيهة بالمراسيم الملكية أو الجمهورية في هذه الأيام ، وبعضها موجز ، وبعضها مفصل ، يتضمن توجيهاً وتشريعاً . وقد جمع محمد حميد الله في كتابه الوثائق السياسية (ص ١٣٧–١٤٣) أكثر هذه العهود . وقد اخترنا منها نصاً واحداً على سبيل المثال ، هو كتابه صلى الله عليه وسلم لعمرو بن حزم عامله على اليمن : (١٠) .

بسم الله الرحمن الرحيم

١ – هذا بيان من الله ورسوله « **يا أيها الذين آمنوا اوفوا بالعقود** » – عهد محمد النبي رسول الله ، لعمرو بن حزم حين بعثه إلى اليمن .

٢ – امره بتقوى الله في أمـره كله ، **فان الله مع الذين اتقـوا ، والذين هم محسنون** .

٣ – وأمره أن يأخذ بالحق كما أمره الله .

٤ – وأن يبشر الناس بالخير ، ويأمرهم به ، ويعلم الناس القرآن ، ويفقههم فيه ، وينهى الناس ، فلا يمسّ القرآن انسان الا وهو طاهر .

٥ – ويخبر الناس بالذي لهم والذي عليهم .

٦ – ويلين للناس في الحق ، ويشتد عليهم في الظلم ، فان الله كره الظلم ونهى عنه فقال : « **ألا لعنة الله على الظالمين** » .

٧ – ويبشر الناس بالجنة وبعلمها ، وينذر الناس النار وعملها .

٨ – ويستألف الناس حتى يفقهوا في الدين ، ويعلم الناس معالم الحج وسننه وفريضته وما أمر الله به ، والحج الأكبر هو الحج الأكبر ، والحج الأصغر هو العمرة .

٩ – وينهى الناس أن يصلي احد في ثوب واحد صغير ، الا أن يكون ثوباً يثني طرفيه على عاتقيه ، وينهى ان يحتبي (١١) أحد في ثوب يفضي بفرجه إلى السماء .

١٠ – وينهى أن يعقص أحد شعر رأسه في قفاه .

١١ – وينهى – اذا كان بين الناس هيج (١٢) – عن الدعاء إلى القبائل والعشائر ، وليكن دعواهم إلى الله وحده لا شريك له ، فمن لم يدع إلى الله ، ودعا إلى القبائل والعشائر . فليقطفوا (١٣) بالسيف ، حتى يكون دعواهم إلى الله وحده لا شريك له .

١٢ – ويأمر الناس باسباغ الوضوء : وجوههم وايديهم إلى المرافق ، وأرجلهم إلى الكعبين ، ويمسحون برؤوسهم كما أمرهم الله .

١٣ – وأمر بالصلاة لوقتها ، واتمام الركوع

---

(١) طبري – ١٤٧/٣ . (٢) الأولى ٢٢٨/٣ ، والثانية ٣١٨/٣ . (٣) كان شجاعاً عاقلا ، من أشراف العرب ، أسلم يوم فتح مكة ، استعمله النبي وكان عمره ٢١ سنة ، وهو اموي . (٤) صحابي ، من ثقيف من أهل الطائف . أسلم في وفد ثقيف فاستعمله النبي على الطائف . (٥) صحابي من أهل الطائف . وكان من الجرارين ، ولم يكن الرجل يسمى جراراً حتى يرأس الفا . (٦) صحابي انصاري ، شهد الخندق وما بعدها . (٧) صحابي أموي من الولاة الغزاة ، قديم الاسلام ، اسلم والرسول يبث الدعوة للدين سراً . وكان من مهاجري الحبشة . وكان يكتب للنبي بمكة والمدينة . (٨) أبو الضحاك ، أمير صحابي يماني ، فارسي الأصل ، أعان على قتل الأسود العنسي المتنبىء . (٩) أول من ارخّ الكتب ، صحابي من الولاة ومن الأغنياء الأسخياء ، أسلم بعد الفتح . (١٠) راجع المصادر التي استند اليها حميد الله في نص هذه الوثيقة في مقدمتها ومنها : البخاري وسيرة ابن هشام ، والترجمة الفارسية لابن اسحاق ، والسيوطي في جمع الجوامع . (١١) الاحتباء : هو أن يضم الانسان رجليه إلى بطنه بثوب يجمعهما به مع ظهره ، ويشدهما عليه . وانما نهى عنهلأ نه اذا لم يكن عليه الا ثوب واحد ربما تحرك ، او زال الثوب عنه ، فتبدو عورته . (١٢) الهيج : اسم للحرب . (١٣) القطف : القطع .

والخشوع . يغلّس بالصبح ، ويهجّر بالهاجرة حين تميل الشمس ، وصلاة العصر والشمس في الأرض مدبرة ، والمغرب حين يقبل الليل ، ولا تؤخر حتى تبدو النجوم في السماء والعشاء أول الليل .

١٤ — وأمر بالسعي إلى الجمعة اذا نودي لها . والغسل عند الرواح اليها .

١٥ — وأمره أن يأخذ من المغانم خمس الله .

١٦ — وما كتب على المؤمنين في الصدقة : من العقار عشر ما سقت العين وسقت السماء ، وعلى ما سقى الغرب نصف العشر .

١٧ — وفي كل عشر من الابل شاتان وفي كل عشرين اربع شياه .

١٨ — وفي كل أربعين من البقر بقرة ، وفي كل ثلاثين من البقر تبيع (١) : جذع او او جذعة (٢) .

١٩ — وفي كل اربعين من الغنم سائمة(٣) وحدها شاة .

٢٠ — فانها فريضة الله التي افترض على المؤمنين في الصدقة . فمن زاد خيراً فخير له .

٢١ — وانه من أسلم من يهودي او نصراني اسلاماً خالصاً من نفسه ، ودان بدين الاسلام ، فانه من المؤمنين ، له مثل مالهم ، وعليه مثل ما عليهم . ومن كان على نصرانيته أو يهوديته فانه لا يرد عنها . وعلى كل حالم — ذكر او انثى ، حر أو عبد — دينار واف ، او عرضة ثياباً .

٢٢ — فمن أدى ذلك فان له ذمة الله وذمة رسوله ، ومن منع ذلك فانه عدو لله ولرسوله وللمؤمنين جميعاً .

ان تحليل هذا العهد يضعنا امام الوقائع والحقائق التالية :

أولاً : انه أمر بتعيين عمرو بن حزم والياً على اليمن .

ثانياً : يمكن ان يقسم هذا العهد إلى وصايا وتشريعات وتوجيهات واختصاصات .

الوصايا

نتبين من دراسة هذا النص ان مطلعه قائم على سريرة الحاكم ، ووجوب صفائها ، فقد جاء في : « أمره بتقوى الله في أمره كله » . وقد جرت العهود بعد ذلك على هذه السنة الطيبة ، اذ ندر ان نقرأ عهداً لا يفتتح بالأمر بالتقوى . واذا عدنا إلى حديث ثابت عن الرسول قال فيه : « التقوى هاهنا ، وأشار بكفه على صدره ، وأعادها ثلاث مرات » . لرأينا ان الأصل في تصرف الحاكم هو السريرة المودعة في القلب ، والقلب في الصدر .

ومن هذه الوصايا : « أن يبشر الناس بالخير » ، فليس من شأن الحاكم الصالح ، أن ينذر الناس بالشر .

ومنها : « أن يبشر الناس بالجنة ، وأن ينذرهم بالنار » .

التشريعات

تضمن هذا النص تشريعات لم ترد في القرآن الكريم . منها : النهي عن الصلاة في ثوب واحد صغير ، واسباغ الوضوء ، وعدم عقص شعر الرأس في القفا ، وبيان مواقيت الصلاة ، وتفضيل في شؤون الزكاة من العقار والابل والبقر والغنم وغير ذلك .

التوجيهات

تضمن هذا النص وجوب لين الحاكم للناس في الحق ، والاشتداد عليهم في الظلم . كما أمره بأن « يستألف الناس حتى يفقهوا في الدين » . وهذا منتهى ما يمكن أن يكون في توجيه أمير بعيد عن مركز الادارة ، يضع نصب عينية سداد التصرفات التي يقوم بها من جهة ، وجمع القلوب على الاخلاص للدولة التي يمثلها في المكان النائي .

ولعل أهم هذه التوجيهات هو قول الرسول : « وأمره أن يأخذ بالحق كما امره الله » . وهذا النص يدل على أن يد الحاكم مطلقة في فصل جميع القضايا التي تعرض عليه ، على أن يلتزم فيها الحق .

الاختصاصات

في العهد اختصاصات متعددة واضحة ، منها : وجوب تعليم الناس القرآن ، ولعمري ان من تعلم القرآن علماً صحيحاً مبنياً على الدراية ، لا على الرواية وعمل بما جاء فيه فقد عرف الشريعة كلها ، وأصبح بلغة اليوم مواطناً صالحاً . ومما يتصل بالمهمة التعليمية اخبار الناس بما لهم وما عليهم . فقد يجهل فريق منهم وجه الصواب . فجعل الرسول من نائبه في اليمن مرشداً إلى الحقوق والواجبات . ومنها : تعليم الناس معالم الحج ، وسنته وفريضته .

فاذا عددنا المهمة التعليمية وجدنا ان الأمير يأخذ ما كتب على المسلمين من الزكاة . وقد أكد العهد على حقوق أهل الذمة وواجباتهم . ومن المفيد ان نعيد ما جاء في النص من ان : « من كان على نصرانيته او يهوديته فلا يرد عنها » .

في وسعنا أن نقرر ، بعد ان استعرضنا موضوع الامارة في عصر الرسول ، ان القواعد التي ارساها صلى الله عليه وسلم ، كانت من أرقى ما وصل ويصل اليه الفكر البشري ، وان الجهاز الحكومي الذي أسسه ، والذي كان مبنياً على التقوى ، كان يفي بحاجات مجتمعه كاملة ، كما كان منطلقاً للمسلمين من بعده ●

ظافر القاسمي — بيروت

---

(١) التبيع : العجل من ولد البقر ، لأنه يتبع أمه . (٢) الجذع : صغير الدابة . والبقر اذا استكمل عامين فهو جذع .
(٣) السائمة في الغنم كالجذع في البقر .

كلمات بعد الأوان

للشاعر: يوسف حسن نوفل



وجمعتُ أشلاء الليالـــي وانعطفتُ مـــع الألـــم
وزرعت دربــي بالتشردِ وانطبــاعـــاتِ النّـــدم
وخطايَ راعشةٌ مبعـثرةٌ على كـــفِ الطـــريق
خـــوف وإرهـــاق وولـــولـة وإعصار الحـريق
أمشي أجـــرّ خواطـــري الثكلى وأندى بالأنـين
وحطـام أيام أغـادره مـــع الماضي الـدفـــين
كـــم عشتُه ونهلت منه رحيقَ عهـدٍ ناضـر
غازلتُ أنجُمـــه لشطآن الوجـودِ الساهـــر
الليـــلُ أنفضـــهُ لأجتاز المساء إلى الأمـــل
وزنابــق الحلـــمِ الرطيب غـدت تبرعـمُ بالقُبـل
قـــد كان يكفي أن يصارعـني الضّيـــاع بـــلا أبِ
وأشقّ مـــن صبري الطـريق ، أشقّ هـول الموكب
وتجـــف في دربي الحياة ويستبد بـــيَ الأســى
وأشد خلـف غيـــوم أحـلامي شعاعـاً قد رسـا
لكنــه يمضي وفـي نهـــر الليــالي أرتمي
وأظـل أعصر ذوب سحري مـــن شبابي ، مـــن دمي
الليــل يكسو صفحـــة الأفـــق الملفع بالضّيـاع
وحفيف أوراق تـراقصـــهُ ارتعاشـــات الشعـــاع
والصمت يفرش ساعـديـه ، يضم كـونـــاً غافيـــا
ويرش فـــوق ضفـاف أوهـــامي خريفـــاً ذاويـا
وألـوك في جـوف المساء مـرارتـــي وكـــآبتي
وأحس غصّـــات النحيب .. أحس وثب نهـايتـي
وأكـــاد أشرق بالبكاء بدربـيَ الكابـــي الحـزين
أمشي أجـــرّ خـواطري الثكلى وأنـــدى بالأنـين
فالأمس ضـــاع وكل مـــا أودعتـــه ولّـى وراح
مـــا عـدت أملك من بقاياه سوى خطـــو الجـراح
لكنني أمضي أعانـق جبهـــة النـــور الحنـــون
بيقـــين إنسانٍ يهـدهـد في ثنايـــاه الظنـــون
فعسايَ ألمـــح خلـــف فجـر اليوم قلبـــاً حانيـا
يُومي إلـــيّ .. يحوطـني .. ويـزف نبعـاً هاديـا

يوسف حسن نوفل – الكويت



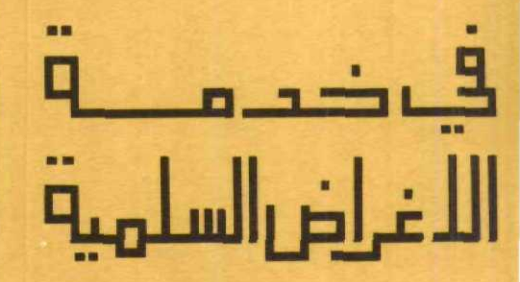
الباخرة «سافانا» هي أول باخرة تجارية تعمل بالطاقة النووية ، وترى هنا إبان رحلة تجريبية لها في عام ١٩٦٢ .

يعتبر الوقود على اختلاف انواعه مصدراً من مصادر الطاقة التي تشكل قاعدة لمختلف الانجازات العلمية التي حققها الانسان في شتى ميادين الحياة . ولولا تطور وسائل الوقود لما تيسر للمدنية الحديثة ما تنعم به اليوم من أسباب التقدم والازدهار . ولعل التطور المذهل الذي وصل اليه الانسان في عالم الطيران والنقليات على اختلاف انواعها ، وفي جميع أنواع الصناعات والبث اللاسلكي ، والمستحدثات الطبية وفي الخدمات العامة ، وغيرها كانت من الأمور العلمية العديدة التي يسرت للانسان الكثير من وسائل الرفاهية والرخاء ووفرت عليه الكثير من العناء الذي يصادفه في قضاء حاجاته العملية والحياتية . . . كما ان التقنية المتطورة مهدت السبيل امام فتوحات متطورة علمية رائعة حملت العلماء على التفكير في دراسة الفضاء والكواكب السيارة .

وهنا لا بد لنا من القاء نظرة خاطفة على التطور الذي طرأ على مصادر الطاقة قبل الولوج إلى معالجة الوقود الذري وما ينتج عنه ، بعد ان تم انشطار الذرة وتحقق ما جاء في نظرية تحويل المادة إلى طاقة عند اتلاف مقدار منها ، على نمط يختلف عن احتراق الفحم أو الحطب أو البترول ، أو انفجار كيميائي كما هي الحال في البارود والديناميت وكافة انواع المتفجرات . لقد ظل الناس إلى ما قبل قرنين من الزمن ، يعتمدون على الآلات البدائية البسيطة وعلى عضلاتهم في انجاز أعمالهم ، كما فعل اسلافهم من قبلهم . وكان لاختراع الآلة البخارية منذ نحو مائتي سنة ، تأثير كبير في تطور الحركة الصناعية وامتدادها من انكلترا إلى اوروبا وامريكا الشمالية . وكانت قوة التردد في القطارات البخارية القديمة تتراوح بين ٥ و ٨ بالمئة ، وفي العربات البخارية ذات الضغط العالي التي تستخدم في توليد الكهرباء والبواخر الضخمة نحو ٣٨ بالمئة . وفي الآلات ذات الاحتراق الداخلي ، فيصل إلى نحو ٤٥ بالمئة في أحسن الحالات ، أما الباقي من الطاقة وهو ٥٥ بالمئة فانه يذهب هدراً .

أما الطاقة الذرية فانها لم تظهر إلى الوجود الا في عام ١٩١٩ ، عندمـــا توصل العالم « رذرفورد » إلى تحطيم الذرة باطلاقه عليها قذائف مؤلفة من دقائق «الفا» ، سعياً وراء احداث اشعاع راديومي اصطناعي . وكانت دقائق «الفا» قذائف طبيعية ذات زخم محدود ، فقام العالم « كوكروفت » وهو أحد تلامذة « رذرفورد » باطلاق بروتونات ذات زخم عال على نواة الليثيوم ، فنتج عن ذلك نواتان من عنصر الهيليوم بالاضافة إلى طاقة هائلة نسبياً . وقد احتار العلماء ازاء تفسير هذه الظاهرة ، لأنها تناقض قانون ضغط الطاقة . وبعد التدقيق ، تبين ان المصدر الوحيد لها هو جوف النواة ولا مجال للبحث عن مصدر آخر . ففي التفاعل الذري هذا يحدث نقص في الكتلة يتحول فيما بعد إلى طاقة وذلك بموجب قانون النسبية . كما تبين بعد وزن اجزاء التفاعل قبل العملية وبعدها .

من هنا كانت نقطة الانطلاق إلى البحث عن مواد قابلة للانشطار الذري الذي تتولد عنه طاقة هائلة حيث وجد العلماء ضالتهم المنشودة في عنصر الأورانيوم ، وأصبح التنقيب عن هذه المادة شبيهاً بالتنقيب عن الذهب عند العثور عليه لأول مرة . وراحت الدول تنفق



المبالغ الكبيرة لتحصل على ما يلزمها من الأورانيوم وتخزنه لحين الحاجة . وقد تبين فيما بعد انه لا بد من تصنيع الأورانيوم للحصول على أفضل قوة للتردد عند استخدامه كوقود ذري .

طرق تصنيع اليورانيوم وتنشيطه

في عام ١٩٧٢ ، أعلن المسؤولون الأمريكيون عن اعتزامهم تخصيص مبلغ ٢٠٠٠ مليون دولار لتنشيط الأورانيوم مع حلول عام ١٩٨٥ ، ليصبح صالحاً كوقود للمفاعلات الذرية . وقد كانت المعلومات في هذا الصدد منحصرة بلجنة الطاقة الذرية، وفي ذلك الوقت لم يكن في العالم سوى ثلاث وحدات لانتاج الوقود الذري .

ولعل الهدف الرئيسي من تعاون القطاع الخاص مع القطاع العام في هذا المجال هو التوصل بطريقة « النبذ الفوقي — Ultra Centrifugation » او بطريقة «الاشباع بأشعة الغاز — Gas Diffusion » إلى رفع مقدار ذرات الأورانيوم — ٢٣٥ من سبعة أعشار من واحد بالمئة كما هو موجود في الطبيعة إلى ٢ في المائة . ويتم الاشباع إما بدفع غاز الأورانيوم عبر حاجز مسامي يسمح بمرور النظير الخفيف ويمنع مرور الأورانيوم — ٢٣٨ الثقيل ، أو تركيز ذرات الأورانيوم — ٢٣٥ عبر نابذات عديدة فائقة السرعة .

لم يكن من السهل تبني طريقة النبذ الفوقي في تنشيط الأورانيوم ، وقد ظلت هذه النظرية مهملة منذ ظهورها عام ١٩١٩ في انكلترا لمدة نصف قرن ، اذ ان احداً لم يتوصل إلى وضع تصميم آلة نابذة تدور نحو ٨٠٠٠٠ مرة في الدقيقة ، أو إلى تطوير مادة تتحمل التآكل الذي تولده العناصر الكامنة في غاز الأورانيوم « هاكساكلورايد ». لذلك فقد اعتمد العلماء الأمريكيون والبريطانيون والفرنسيون طريقة التنشيط بالغاز عندما كانوا في حاجة للأورانيوم المنشط في الأسلحة النووية .

وفي عام ١٩٥٨ ، عادت الآلة النابذة لتحتل مكانتها من جديد ، وذلك عندما استدعت لجنة الطاقة الذرية في اميركا عالماً نمساوياً وكلفته اعادة الاختبارات في نبذ الغازات وقد قام هذا العالم بهذه التجارب أثناء الحرب العالمية الثانية عندما كان سجيناً في روسيا بعد انتهاء الحرب هذه . وبدلاً من أن يستخدم آلات ضخمة ترتكز على ركائز ثقيلة لتتحمل سرعات النبذ ، صنع هذا العالم دواراً رحوياً خفيفاً من الألمنيوم يبلغ قطره نحو ٨ سنتيمترات وطوله نحو ٣٧ سنتيمتراً ، يعلوه ويحمله في وضع عامودي مغنطيس اسطواني أثناء دورانه ضمن غلاف مفرغ من من الهواء . غير ان هذا العالم لم يتمكن من اقناع لجنة الطاقة الأميركية بصوابية عمل اختراعه ، فترك اميركا واتجه إلى المانيا .

ولكن هذا الأمر لم يقف عند هذا الحد ، بل قامت مؤسستان علميتان بمواصلة التنقيب والدراسات في هذا المجال ، وتمكنتا بحلول عام ١٩٦٧ من التقدم بشكل ملموس في تنشيط الأورانيوم . وفي الوقت نفسه تقريباً ، أعلنت انكلترا والمانيا الغربية وهولندا عن عزمها على استثمار تقنية النبذ الفوقي على مستوى تجاري . وبعد مداولات استمرت أكثر من سنة حول ما يتوجب على كل دولة أن تقوم به في هذا المجال ، وقعت الدول الثلاث على اتفاقية

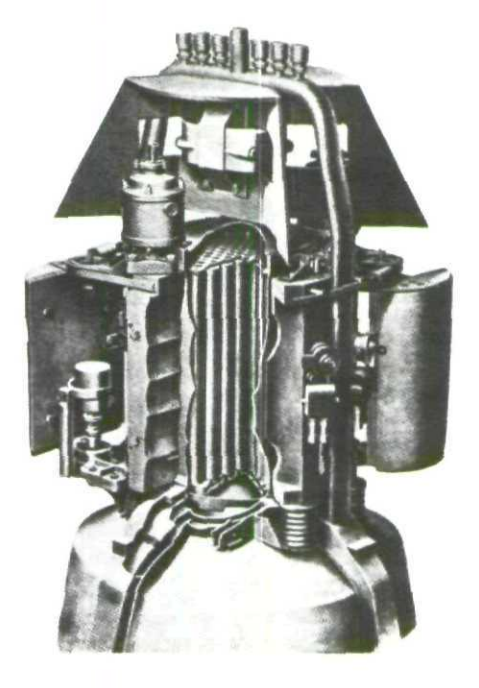
تنص على اقامة مؤسستين متضامنتين ، احداهما لتسويق الأورانيوم المنشط والأخرى لصنع الآلات النابذة ذات السرعة الفائقة .

اوروبا والوقود الذري

ظلت الولايات المتحدة الأمريكية تتحكم في تسويق الأورانيوم المنشط على نطاق عالمي حتى أواسط عام ١٩٧٣ ، وقد كانت إلى ذلك الوقت تعتبر المصدر الوحيد لتجهيز المفاعلات الذرية في العالم الحر بهذه المادة كوقود ذري . وفي صيف عام ١٩٧٣ ، أظهرت الدراسات ان بلدان العالم الحر ستقبل على شراء الأورانيوم المنشط عام ١٩٨٥ ، بما قيمته نحو ٢٠٠٠ مليون دولار .

ومن ناحية أخرى تألفت شركة أوروبية من مجموعة من المصالح الحكومية والخاصة لانتاج الأورانيوم المنشط . وعندما يبدأ العمل في أربع وحدات ذرية تم تصميمها في أواخر عام ١٩٧٣ ، سيكون هناك اربع مصادر للاورانيوم المنشط ، أولها وحدة تابعة لوكالة الطاقة الذرية الأمريكية ، من المنتظر ان يصل انتاجها في عام ١٩٧٨ إلى ٢٥٠٠٠ طن ، وهي تعمل بطريقة الاشباع بأشعة الغاز التقليدية . وفي عام ١٩٧٩ ، سيبدأ الانتاج في وحدة اوروبية بمعدل ٩٠٠٠ طن في السنة تعمل بالطريقة المذكورة نفسها .

وهناك وحدة تستخدم طريقة النبذ الفوقي للاشباع ، تتعهدها بريطانيا والمانيا الغربية وهولندا ، ينتظر أن يصل انتاجها إلى ٢٠٠٠ طن عام ١٩٨٠ وإلى ١٠٠٠٠ طن عام ١٩٨٥ . ولعل من بين الأسباب التي أدت إلى هذا النشاط الأوروبي ، زيادة سعر الكيلوغرام من الأورانيوم المنشط من ٣٢ دولاراً إلى ٣٩



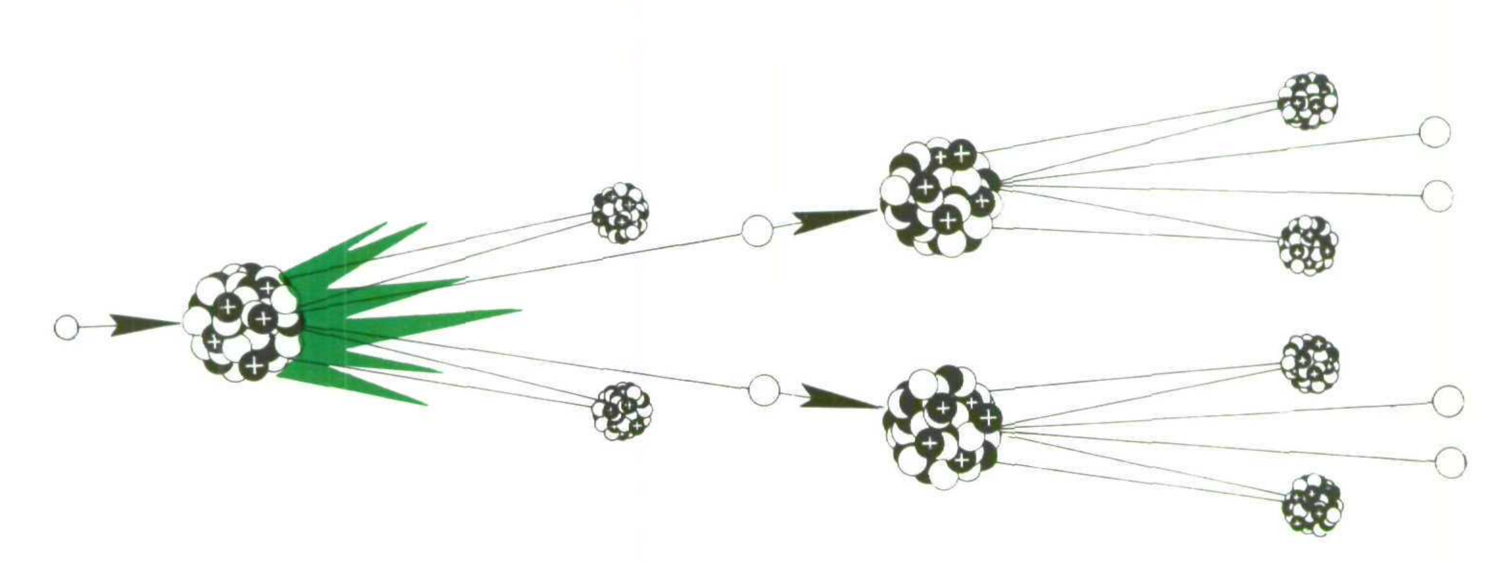
نموذج لمحرك نووي ، من الداخل يستطيع العمل لمئات السنين دون الحاجة إلى تجديد وقوده .

دولاراً كما فرضته اميركا عام ١٩٧٣ .

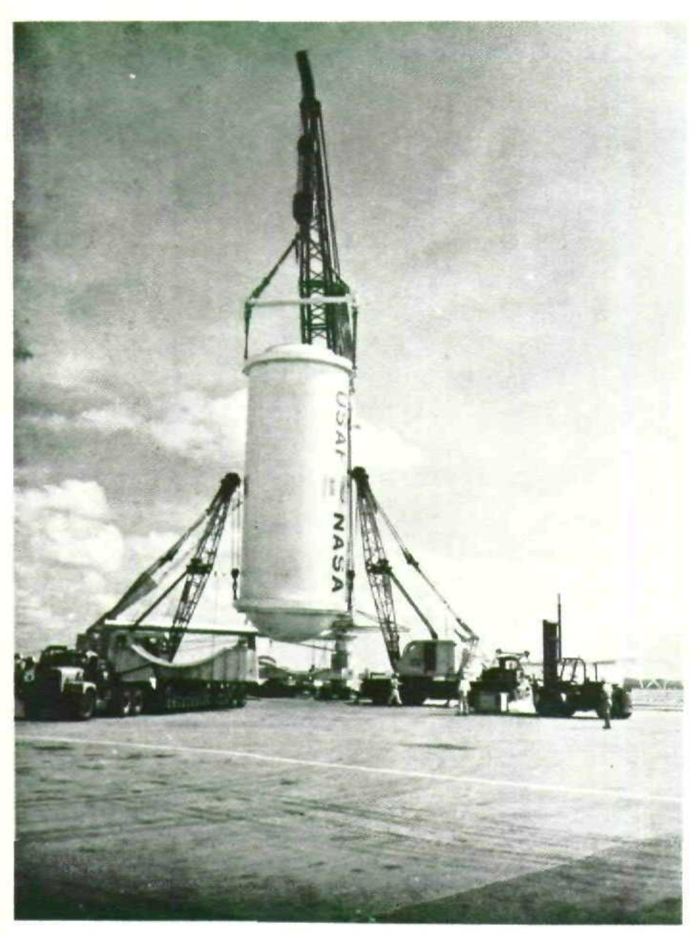
في هذه الأثناء ، أي في حوالي عام ١٩٧٦ ، ستكون لجنة الطاقة الذرية الأمريكية قد اتخذت قراراً ببناء وحدة لتنشيط الأورانيوم ينتظر أن تبدأ بالانتاج عام ١٩٨٣ ، ولم يعرف بعد ما اذا كانت هذه الوحدة ستستخدم طريقة أشعة الغاز أو النبذ الفوقي ، وكلتا الطريقتين تعملان على رفع نسبة الأورانيوم -٢٣٥ وعزل الأورانيوم ٢٣٨ . ففي الطريقة الأولى يندفع غاز الأورانيوم عبر حاجز مسامي ، يسمح بمرور النظير الأخف بسهولة ، وفي الطريقة الثانية يدور الغاز في آلاف الآلات النابذة فيندفع الثقيل منها إلى خارج الوعاء ، كما يحدث للحليب عندما يدور في الآلة النابذه . ومثل هذه الطريقة تحتاج إلى عشر القوة الكهربائية التي تستنفدها طريقة الاشباع بالغاز ، كما ان حجم الآلات النابذة صغير جداً بالمقابلة مع حجم آلة الاشباع بالغاز .

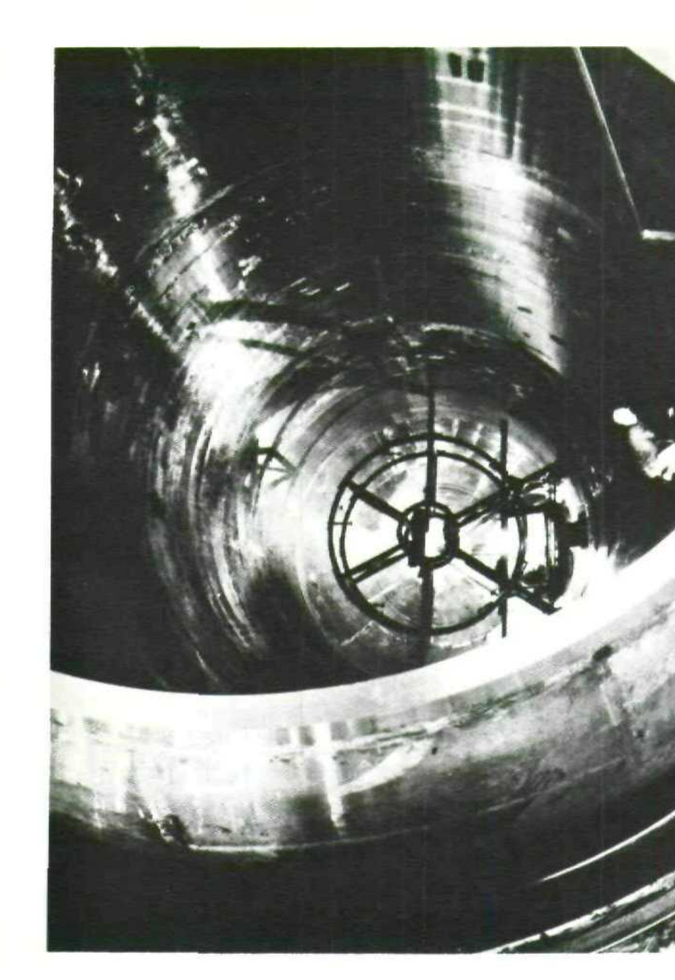
ويزداد الاعتماد على استخدام طريقة النبذ الفوقي في شتى الأوساط ، لأن نسبة الأورانيوم ٢٣٥ بهذه الطريقة وبسرعات عالية ترتفع من أقل من واحد بالمئة إلى نحو ٣ بالمئة في المويج ، وهذا يكفي كوقود ذري للمفاعل .

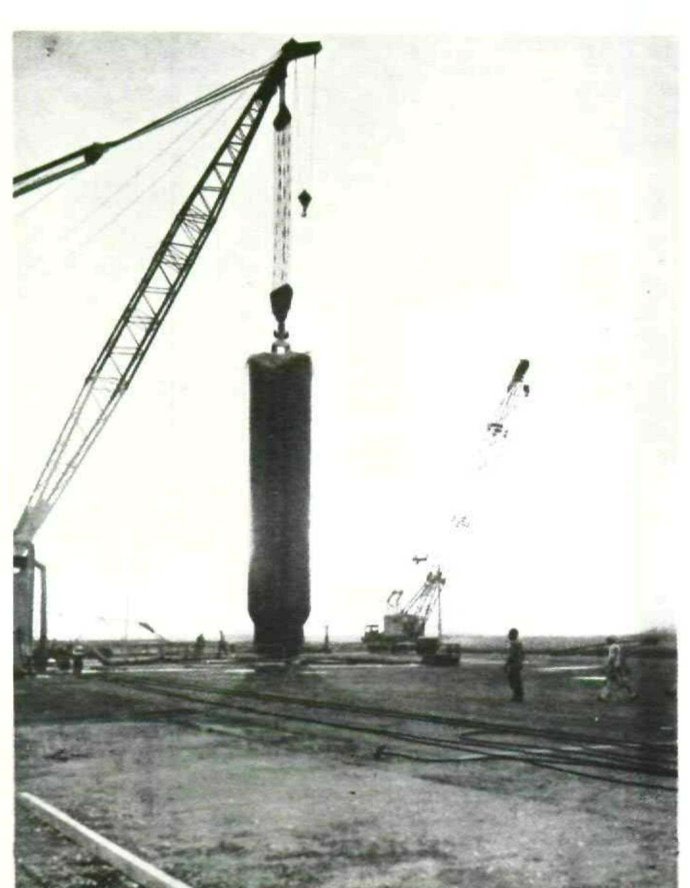
وتقدر الأوساط الأميركية انه في عام ١٩٨٥ ، ستنفق اوروبا الغربية مبلغ ٥٤٤ مليون دولار لتنشيط الأورانيوم ، وستنفق

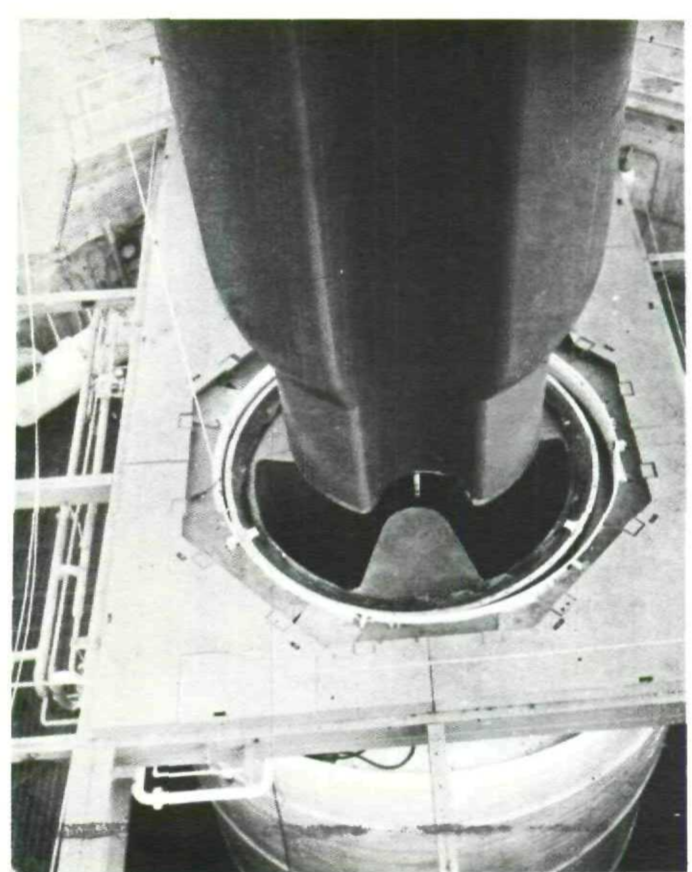


رسم توضيحي لعملية تفاعل نووي متسلسل تبدأ بانفلاق ذرة من اليورانيوم - ٢٣٥ أو البلوتونيوم فيتولد عنها نيوترونات عديدة تقوم بدورها بفلق ذرات أخرى .









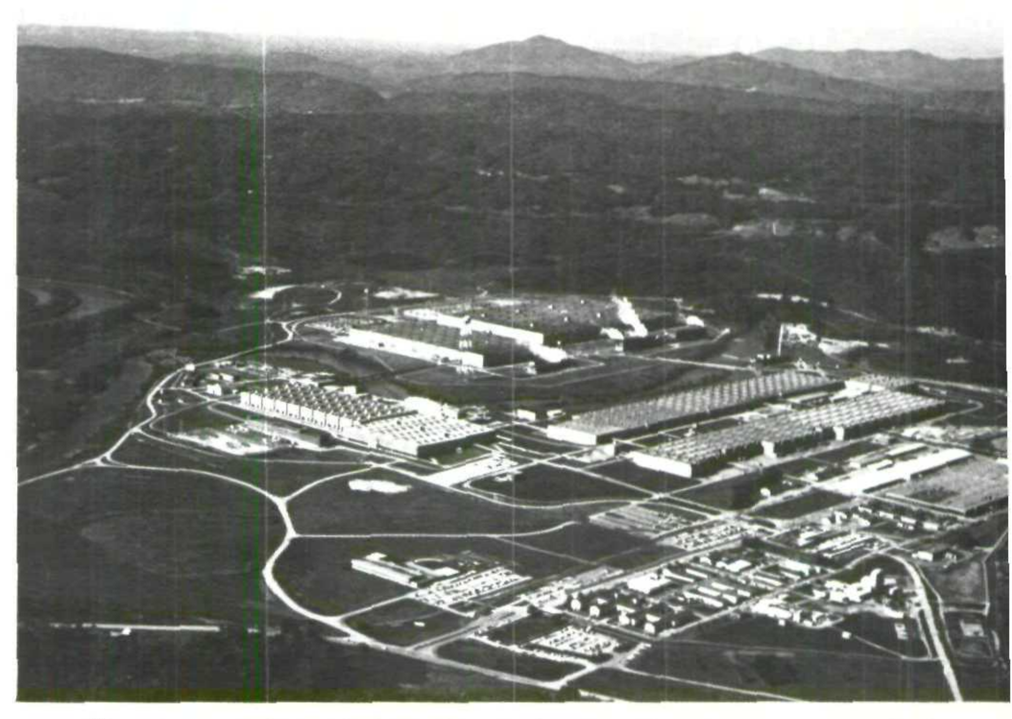
اربع لقطات تمثل مراحل تركيب واعداد محرك دفع نووي يبلغ وزنه ۱۶۸۰۰۰۰ رطل ، ويولد قوة دفع مقدارها ۳,٦ مليون رطل . . وهو تابع لادارة الفضاء والطيران الوطنية – NASA .

اليابان مبلغ ٢٠٠ مليون دولار للغرض نفسه ، وفي عام ١٩٩٠ سترتفع هذه الأرقام إلى ٨٤٨ مليون دولار في أوروبا وإلى ٣٤٠ مليون دولار في اليابان .

الوقود في المفاعلات الذرية

تختلف تصاميم المفاعلات الذرية وتتطور ، باختلاف الأغراض التي تستخدم من أجلها ، أما كيفية تلقيمها فتتوقف على تصميم عناصر الوقود التي تتألف من قضبان أو صفائح لها مواصفات هندسية دقيقة تحتوي على هذا الوقود ضمن غلافات معدنية تحميها من العوامل الخارجية . وتوضع عناصر الوقود هذه بشكل يؤهلها لأن تتخذ الحجم المناسب ليبدأ الانشطار تلقائياً ويستمر التفاعل عند الحرارة المطلوبة لتتحقق أكبر فائدة من ذرات الوقود الثمينة .

أحد المصانع الخاصة بإنتاج اليورانيوم التي تزود به بعض معامل توليد الطاقة النووية في الولايات المتحدة الأمريكية .



وفي الوقت نفسه تقوم عناصر الوقود بنقل الحرارة إلى السائل المبرد الذي ينقل الطاقة إلى المحركات عبر دوامات بخارية .

ولئن اختلفت المفاعلات في تصاميمها فانها جميعها تعتمد على العملية نفسها اي على تفكك ذرات أربعة نظائر غير مستقرة تنتمي إلى نظيرين من أثقل العناصر ، وهذه النظائر هي أورانيوم ـ٢٣٥ واورانيوم ـ٢٣٣ وبلوتونيوم-٢٣٩ وبلوتونيوم ـ٢٤٠ . فعندما يقع نيوترون على نواة ذرة من هذه النظائر ، تنشطر النواة ، ويتحول جزء من كتلتها إلى طاقة ، وما تبقى يتحول إلى ذرات مجموع كتلتها أقل من كتلة النواة المنشطرة بالاضافة إلى أكثر من نيوترونين ، وبفضل هذه النيوترونات المستحدثة ، يحدث تفاعل إلى أن ينفد الوقود . أما تحول الكتلة إلى طاقة فهي عملية تحدث بموجب معادلة نسبية هي :

الطاقة بالدرجات = الكتلة بالغرامات × مربع سرعة الضوء بالسنتيمترات في الثانية .

واختصارها ط = ك × س٢

و س = ٣ × ١٠ (١٠) سنتيمتر في الثانية .

من هذه النظائر الأربعة لا يوجد في الطبيعة الا الأورانيوم-٢٣٥ ، أما نظير البلوتونيوم أي بلوتونيوم ـ٢٣٩ وبلوتونيوم ـ٢٤٠ فانهما يتكونان من جراء تصادم النيوترونات الاضافية في التفاعل المتسلسل مع ذرات الأورانيوم ٢٣٨ ، وهذا هو نظير مستقر للأورانيوم وموجود بكثرة في الطبيعة ، وأما الأورانيوم — ٢٣٣ فيتكون من ثوريوم ـ٢٣٢ بطريقة مماثلة للطريقة الآنفة الذكر وفيما مضى ، كانت نظائر الوقود المركبة تصنع في مفاعلات اعدت خصيصاً لهذه الغاية ، أما في الوقت الحاضر فان تصميم المفاعل بات يهدف إلى اطالة عمر عناصر الوقود ، وذلك بتحويل نظائر أورانيوم وثوريوم المستقرة والخصبة ، إلى نظائر قابلة للانشطار تستهلك مع استمرار التفاعل المتسلسل . وهناك أنواع من المفاعلات يجري تصميمها لتنتج من الوقود أكثر مما تستهلك .

وجدير بالذكر ان الأورانيوم الطبيعي يتألف من نظيرين احدهما أورانيوم ـ٢٣٨ وهو يؤلف ٩٩٫٣ في المائة من الأورانيوم الطبيعي ، وهو غير قابل للانشطار إلى درجة عالية لكنه يعتبر نظيراً خصباً لانتاج بلوتونيوم-٢٣٩ ، بسلسلة من التفاعلات النووية ، اما الآخر أي اورانيوم ـ٢٣٥ فموجود في الأورانيوم الطبيعي بنسبة ٠٫٧ في المائة وهو يستعمل مخففاً باورانيوم ـ٢٣٨ ، في الأورانيوم الطبيعي ، أو بتركيزه وفصله عن بعض او معظم اورانيوم — ٢٣٨ كأورانيوم منشط . أما ثوريوم الطبيعي فيشكل ١٠٠ في المائة من ثوريوم — ٢٣٢ ، وهو مادة خصبة لانتاج أورانيوم — ٢٣٣ وهذا العنصر يؤلف مادة قابلة للانشطار . من هنا يتبين لنا أن تطوير الطاقة الذرية يعتمد اعتماداً كلياً على أورانيوم ٢٣٣ نظراً لسهولة الحصول عليه من ثوريوم ـ٢٣٢ . وعلى بلوتونيوم ـ٢٣٩ نظراً لسهولة استخراجه من أورانيوم ـ٢٣٨ . وهناك بلدان عدة أخذت تعتمد على الأورانيوم في انتاج الطاقة الكهربائية وفي مقدمتها الولايات المتحدة الأميركية . ففي عام ١٩٧٢ ، كان هناك ٣٢٠٠ طن من معدن الأورانيوم لم يقدم احد على شرائها .

في عام ١٩٦٩ بلغت أعمال الحفر بحثاً عن الأورانيوم ما يعادل ١٠٠٠٠ كيلومتر وفي عام ١٩٧٠ تدنت الحفريات إلى ٤٥٠٠ كيلومتر ثم إلى ٣٦٠٠ كيلومتر في عام ١٩٧٢ ، وبلغت تكاليف الكيلوغرام الواحد نحو ٥ دولارات . هذا وقد بينت الدراسات ان اميركا كانت بحاجة إلى ١٤٧٠٠ طن من الأورانيوم عام ١٩٧٣ ، وستحتاج إلى حوالي ٥٨٨٠٠ طن عام ١٩٨٤ .

ومع ازدياد الطلب على كميات الأورانيوم ، ارتفعت الأسعار بشكل مذهل بحيث وصل سعر الكيلوغرام الواحد منه إلى نحو ٢٠ دولاراً عام ١٩٦٧ ، ومع العلم ان الولايات المتحدة الأمريكية في ذلك الوقت كان لديها نحو ٨٤ وحدة ذرية تعمل أو قيد الانشاء وفي أواسط عام ١٩٧٣ ارتفع عدد الوحدات الذرية إلى ١٧١ وحدة وبلغ انتاجها لغاية عام ١٩٧٠ نحو ١٧٠ مليون كيلواط من الكهرباء ،

وهذه القدرة الانتاجية تتطلب ٢٥٠٠٠٠ طن من الأورانيوم . إلا أن الولايات المتحدة لم يكن لديها وقتذاك سوى ١٤٠٠٠ طن ، لذلك ، فقد نشطت الشركات والمؤسسات للعمل في ايجاد موارد جديدة لسد هذا العجز في الأورانيوم . ويقول المعنيون بالأمر أن التطور التقني لن يتم قبل حلول عام ١٩٨٠ ، وذلك عندما تتحقق فكرة « المفاعل الذري السريع المنتج Fast Breeder Reactor » . وقد دلت الاحصاءات على ان استهلاك الفرد الأميركي للكهرباء ، يساوي ضعفي استهلاك الفرد الانجليزي ، وستة أضعاف المعدل العام للفرد في العالم أجمع . وقد قررت فرنسا ان تنشيء خلال السنوات السبع القادمة ١٣ وحدة ذرية لتوليد الطاقة ، تنتج كل واحدة منها مليون كيلوواط .

المفاعل الذري السريع المنتج يولد من الوقود أكثر مما يستهلك

عند احتراق كمية من الفحم او البترول أو الحطب في موقد ، ينتج عن ذلك مقدار من الحرارة يكون مصدراً لتحريك آلات كما هو معروف في عالم الصناعة . لكن عند احتراق كمية من الوقود الذري ، يتولد بخار في المرجل ، وهذا بدوره يدفع الدوامات لتقوم بتحريك الآلات ، ولا ينتهي العمل عند هذا الحد بل إن بعض الأورانيوم ينحل ويتحول إلى طاقة في المفاعل ، وما تبقى يظل صالحاً للاستعمال مرة ثانية وذلك بعد معالجته بطرق معقدة .

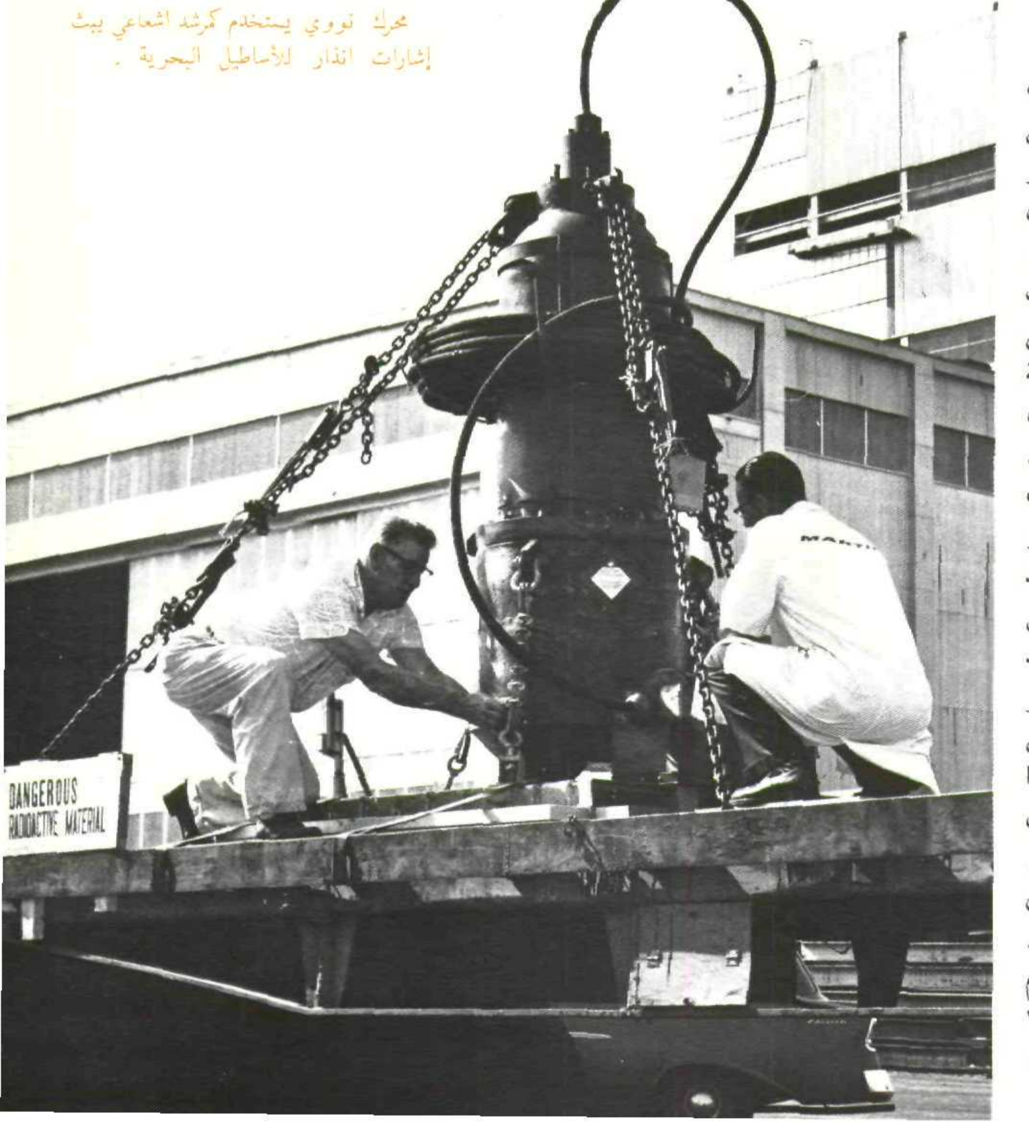
وفي المفاعل الذري المنتج تتولد حرارة بسبب انشطار مقدار من الأورانيوم ــ٢٣٥ او بلوتونيوم ــ٢٣٩ ، بالاضافة إلى توليد المزيد من وقود البلوتونيوم وعندما تنحل ذرة من أورانيوم ــ٢٣٥ أو بلوتونيوم ــ٢٣٩ ، يتولد عدد كبير من النيوترونات السريعة تنتشر وتتغلغل في ذرات أورانيوم ــ٢٣٨ فينتج عن ذلك بلوتونيوم ــ٢٣٩ . وبذلك فان جزءا من البلوتونيوم هذا ، أو جميعه يمكنه أن يحل محل أورانيوم ــ٢٣٥ في المفاعلات التي تعتمد على هذا النظير من الأورانيوم الذي يوجد بكميات زهيدة في الأورانيوم المنشط .

إذن لدينا الآن عنصر جديد هو بلوتونيوم ٢٣٩ ، الذي يستخلص من أورانيوم ــ٢٣٨ عن طريق سلسلة من التفاعلات الذرية ، ثم يحول إلى معدن بطرق مماثلة لتلك الطرق المستخدمة في الأورانيوم . ويستخدم البلوتونيوم هذا كوقود في المفاعل الذري في ظروف خاصة ، وذلك عند تخفيفه بكمية كبيرة من مادة خصبة غير قابلة للانشطار مثل أورانيوم ــ٢٣٨ أو ثوريوم ــ٢٣٢ ، أو مادة خامدة مثل الومنيوم ، وزركونيوم ، واوكسجين . ومن خصائص بلوتونيوم ــ٢٣٩ البارزة استخدامه كوقود ذري في المفاعلات حيث يولد طاقة كبيرة ، وانتاجه من الأورانيوم أكثر مما يستهلك وهذا ما ينشده علماء الطاقة لتجنب أزمة الطاقة الكهربائية في المستقبل .

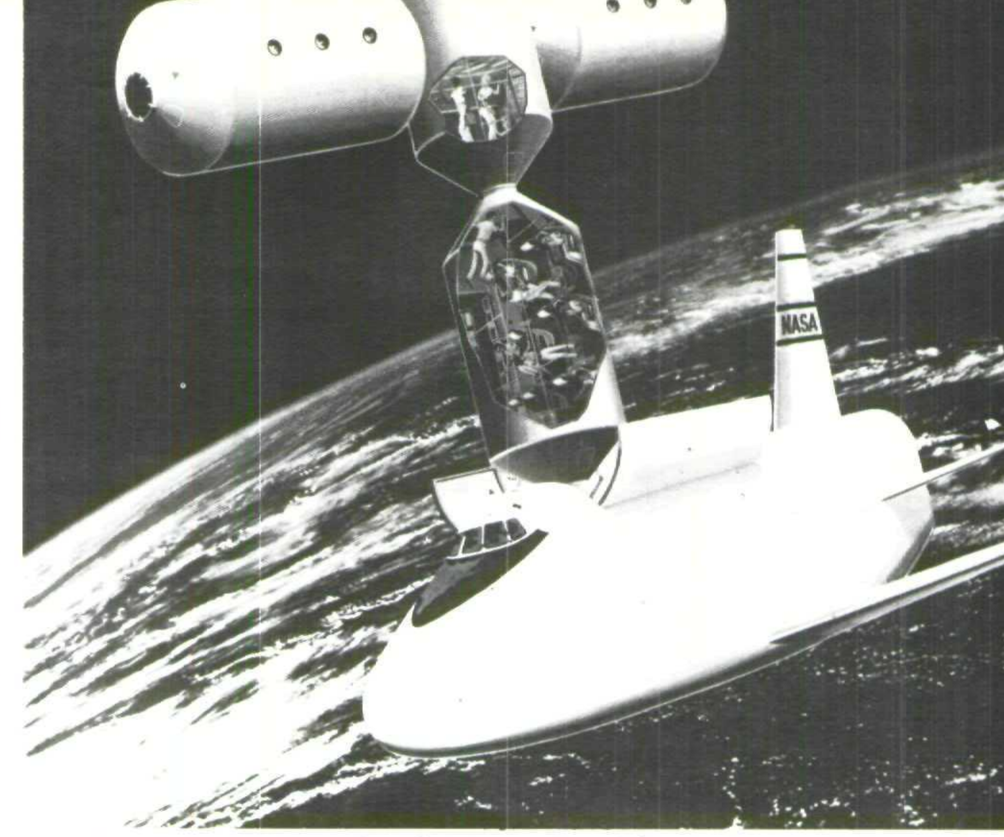
وعندما تتحول ذرات أورانيوم ــ٢٣٨ إلى ذرات بلوتونيوم ــ٢٣٩ بفضل النيوترونات تنشطر ذرات البلوتونيوم أيضاً ، وفي هذا النوع من المفاعلات فان انشطار عشر ذرات من البلوتونيوم يتولد عنها ما بين ١٢ و ١٤ ذرة جديدة . ويتوقف انتاج المفاعل السريع المنتج على كيفية تصميمه ، فهناك مفاعل يستطيع انتاج كمية من البلوتونيوم تكفي لاشباعه ولاشباع مفاعل آخر في أقل من عشرين سنة ، كما يمكن فتح المفاعل من وقت إلى آخر ونزع الوقود الجديد من داخله لتموين مفاعل آخر . علاوة على هذا ، يستهلك المفاعل السريع المنتج نحو ٦٠ في المائة من الطاقة المخزونة في الأورانيوم بينما تستهلك المولدات التقليدية بين ١ و ٢ في المائة .

الوقود الذري في الفضاء

لقد شهد العام ١٩٦٢ أول نجاح حققه الانسان في استخدام الذرة في استكشاف الفضاء ، وذلك عندما أكمل أول قمر اصطناعي



محرك نووي يستخدم كمرشد اشعاعي يبث إشارات انذار للأساطيل البحرية .



ينتظر ان ينتشر نطاق استعمال الوقود الذري ليشمل المركبات في رحلاتها المدارية .



أول سفينة تعمل بالقوة النووية . وهي تابعة للأسطول البحري الأمريكي . ويبلغ طولها ٧٢١ قدماً . وترى في الصورة لدى عودتها من أول رحلة تجريبية لها .

يحمل أدوات وأجهزة ارسال تعمل بقوة الذرة عدداً من دوراته حول الأرض في عامه الأول . وكان ذلك في رأي علماء الطاقة ، أبرز دليل على توفير الطاقة الذرية لأغراض الفضاء ، وقد قطع هذا القمر الاصطناعي في سنة واحدة ٢٢٧ مليون كيلومتر في الفضاء بمعدل دورة واحدة حول الأرض في كل ١٠٤ دقائق . وظل المولد النووي الموجود داخل القمر الاصطناعي يبث دون انقطاع اشارات لاسلكية واضحة بعد مرور سنة على بدء عمله .

ولما بدأ العلماء يفكرون في القيام برحلات إلى كوكبي القمر والمريخ ، وجدوا انهم بحاجة إلى مفاعل ذري يستطيع توليد قوة هائلة ، وفي امكانه ان يحول هذه القوة إلى قوة دفع عن طريق محرك ايوني ، وذلك بتكاليف معقولة . والمعروف ان الرحلة إلى كوكب المريخ تستغرق حوالي ٦ سنوات اذا ما سارت السفينة الفضائية بسرعة مقدارها ١٦٠٠ كيلومتر في الساعة . أما المحرك النووي فانه يحقق سرعة مقدارها ١٦٠ ألف كيلومتر في الساعة ، وهذه السرعة تمكن الانسان من الوصول إلى كوكب المريخ خلال بضعة أشهر .

وفي أوائل شهر أبريل عام ١٩٦٥ ، أطلقت الولايات المتحدة الأمريكية أول محرك نووي في الفضاء حيث ظل في مدار قطبي حول الأرض على ارتفاع ١٣٠٠ كيلومتر بواسطة صاروخ اعد لهذه الغاية ، وقد انطلقت شارة راديوية من الأرض ، لتدير المفاعل النووي ، وبعد وقت قصير من اطلاقه أصبحت فاعليته ٣٠٠ واط ، وهذه تفوق بمئات المرات الطاقة المتولدة عن طريق الخلايا الشمسية ، في الاقمار الاصطناعية والسوابر في عالم الكواكب السيارة . وسيظل هذا المفاعل يعمل في مداره ولا يعود إلى الأرض إلا بعد ٣٥٠٠ سنة .

ويتألف وقود هذا المفاعل من نحو ٥ كيلوغرامات من أورانيوم ــ٢٣٥ ، مزجت بملطف يخفف سرعة النيوترونات عند انشطار ذرات الأورانيوم ، ويبلغ وزنه ١١٠ كيلوغرامات وهو متصل بوحدة تحول الحرارة الشمسية مباشرة إلى طاقة كهربائية . وعندما وجد المسؤولون ان المفاعل النووي يعمل على ما يرام ، ارسلوا اشارة راديوية حولت التيار الكهربائي من البطارية إلى محرك ايوني يزن نحو كيلوغرام فتولدت سرعة مقدارها ٢٨٣٣٦٠ كيلومترا في الساعة . وكان هذا النجاح مبعث تفاؤل كبير لدى العلماء في الوصول إلى ما وراء النظام الشمسي ، فأطلقوا مركبة « بايونير — ١٠ » نحو كوكب المشتري ، وكانت هذه أول مركبة فضائية تستمد طاقتها بكاملها من نظائر ذرية مشعة .

وقد انطلقت هذه المركبة الفضائية بسرعة تبلغ ٤٦ الف كيلومتر في الساعة . وبعد ان وصلت إلى مسافة تبعد نحو ٣٠٠٠٠ كيلومتر عن كوكب المشتري ، ارتفعت سرعتها إلى ١٢٨٠٠٠ كيلومترا في الساعة ، وذلك بتأثير جاذبية هذا الكوكب السيار وبعد ذلك دخلت المركبة في نطاق حزام اشعاع الكوكب القوي وتجاوزته إلى ما وراء كوكب المشتري ، ومن هناك اندفعت بفعل قوة الجاذبية نحو أفلاك زحل ، فأورانوس ، فنبتون ، فبلوتو . وقد صمم هذا المفاعل ليغذي الجهاز الراديوي لمدة خمس سنوات . وفي عام ١٩٨٧ تغادر المركبة الفضائية النظام الشمسي . وهكذا نرى ان فكرة الملاحة

بين الكواكب السيارة ، قد أصبحت واقعاً علمياً بفضل مركبات وقودها النظائر الذرية المشعة .

وقد كان من بين العناصر التي اكتشفت حديثاً وهي تقع وراء عنصر الأورانيوم في الجدول الذري ، عنصر كوريوم — ٢٤٤ وعدده الذري ٩٦ ، وهو مرشح لأن يصبح وقوداً للمفاعلات النووية المستخدمة في المركبات الفضائية بعد أن أصبح انتاجه ممكناً .

البواخر والغواصات الذرية

لقد تم انزال اول باخرة ذرية إلى البحر في الولايات المتحدة الأمريكية في عام ١٩٥٩ . وكان قلب المفاعل الذري في داخلها يحتوي على ٣٢ ركناً للوقود ، وفي كل ركن ٢٠٠ انبوب من الفولاذ الذي لا يصدأ ، يحمل في أحشائه سبعة الاف وخمسين كيلوغراماً من أوكسيد الأورانيوم المنشط إلى درجة ٤ في المائة . وهذه الكمية من الوقود الذري ، كانت كافية لتسيير الباخرة مسافة ٥٥٥٠٠٠ كيلومتر ، مع العلم انها قد تستنفد ٦٠ كيلوغراماً من عنصر الأورانيوم ، وينتج على الهامش نظائر مشعة ذات قيمة ، ونحو ١٨ كيلوغراماً من عنصر البلوتونيوم . وقد صممت هذه الباخرة لتحمل ١٠٠٠٠ طن من البضاعة و ٦٠ مسافراً و ١١٠ ملاحين اثناء رحلة تدوم نحو ٣ سنوات بصورة تجريبية .

وفي الوقت نفسه كانت الجهود تتجه نحو صنع أول غواصة ذرية امريكية ، وقد حصل ذلك وقامت هذه الغواصة برحلة في سنتها الأولى قطعت خلالها ٤٨٥٠٠ كيلومتر نصفها تحت الماء ، دون ان تجدد الوقود ، وقضت دون توقف ٢٠٦ ساعات وبقيت في الأعماق ٨٩ يوماً و ١٤ دقيقة ، لم تصعد خلالها إلى سطح الماء ، وكانت تحمل ١٥٤٢ راكباً بالاضافة إلى ١٠٠ بحار . وكانت كمية الوقود الأولى نحو ٤ كيلوغرامات من الأورانيوم المنشط ، وبعد سنتين ونصف من انزالها إلى البحر ، بلغت المسافة التي قطعتها هذه الغواصة الذرية ، ١٥٤٠٠٠ كيلومتر ، قضت ثلثيها تحت الماء .

قطارات وطائرات وصواريخ ذرية

ومن المنجزات العلمية التي حققها الانسان في هذا المضمار القطــار الذري . وقد تمكنت الولايات المتحدة من وضــع تصميم لقطار ذري يستطيع العمل لمدة سنة باستخدام



يراعى عند شحن الاسطوانات الملأى باليورانيوم ٢٣٥ ، أقصى درجات الحرص والعناية .

خمسة كيلوغرامات من وقود الأورانيوم . ويبلغ طول هذا القطار ٥٠ متراً ، وهو يتألف من قطعتين وله ٣٠ عجلة . وعند احتراق الوقود الذري تتولد حرارة عالية ، فيتحول الماء في جهاز التبريد إلى بخار ، فتدور الدوامات التي تحرك العجلات . وهناك درع من الفولاذ يبلغ سمكه أكثر من ١٠٠ سنتيمتر ووزنه نحو ٢٠٠ طن ، لحماية طاقم العمال والمسافرين من خطر الاشعاع وقد عهد إلى احدى الشركات المختصة ببناء القطارات ، بتنفيذ التصميم المذكور بالتعاون مع شركة تعمل في حقل بناء المفاعلات النووية . وكان ذلك عام ١٩٥٦ ، هذا وما زال العمل مستمراً في تطوير هذا النوع من القطارات وفق مواصفات اقتصادية وصناعية معينة .

وفي عام ١٩٥١ ظهرت أول دراسات لصنع طائرة نووية ، تدور حول الأرض ٨٠ مرة وتستمد قوتها من نصف كيلوغرام من أورانيوم —٢٣٥ . وهنا أيضاً يتحول الماء المبرد عند احتراق الوقود إلى بخار ذي دفع قوي يدير دوامات مرتبطة بمحركات الطائرة . وكانت احدى قاذفات القنابل أول طائرة نووية تجريبية ، يجري صنعها في هذا المجال . ويبلغ وزن محركاتها العشر نحو ٢٤٠٠٠ كيلوغرام وتستهلك من الوقود العادي قرابة ٤٠٠٠٠ كيلوغرام .

وقد قال أحد خبراء الطيران ، ان الطائرة النووية المزمع تطويرها تستطيع الدوران حول الأرض في الظلام متتبعة حرارة الشمس نظراً لسرعتها ، وفيها من الوقود ما يكفيها للطيران بدون انقطاع ، وبدون ان تهبط إلى الأرض او أن تجدد وقودها .

وفي عام ١٩٥٦ ، حلق فرن ذري طائر في الجو على نطاق تجريبي لتشغيله في طبقات الجو العليا . وكان تبريد الفرن أثناء عمله يتم بواسطة شفاطات هوائية مثبتة على هيكل الطائرة وفي مؤخرة جناحيها .

وقد قام العلماء البريطانيون بدرس مشروع لانتاج طائرة نووية تسحب وراءها عدداً من طائرات الركاب عبر المحيط الأطلنطي . وتستطيع هذه الطائرة ان تعبر المحيط بضعة أعوام بشحنة واحدة من الوقود الذري ، مما يوفر كثيراً من الوقود المستخدم حالياً .

وفي عام ١٩٦٧ بدأ الأميركيون دراسات تهدف إلى صنع محرك صاروخي نووي تبلغ قوة دفعه نحو ١٠٠٠٠٠ كيلوغرام ، وكانت قوة الدفع لدى المحركات والمفاعلات السابقة لا تزيد على ٢٥٠٠٠ كيلوغرام . غير ان التوسع الذي أحرزه العلماء في شؤون الفضاء قد دفعهم إلى القيام بدراسات واسعة في حقل الطاقة النووية التي تعتبر الوسيلة الوحيدة لنقل الانسان والمركبات الفضائية عبر الكواكب السيارة .

حقاً لقد انجز الانسان أشياء كثيرة في حقل الفضاء ، وها هو الآن يواصل ابحاثه العلمية الرامية إلى تحقيق المزيد من المنجزات التي تعود على الانسانية بالخير والرخاء ●

نقولا شاهين — بيروت

تَصَلّبُ شَرَايِيْن القَلبْ

بقلم: الدّكتور ابراهيم ناصر

من اهم اسباب تصلب الشرايين « Arteriosclerosis » ما يسمى بـ « Atherosclerosis » وينتج عن ترسب مواد دهنية وخاصة مادة الكوليسترول "Cholestrol" في جدران الشرايين مما يؤدي إلى تقلص الشريان المصاب وبالتالي إلى انخفاض كمية الدم الواردة الى الأنسجة والخلايا التي يغذيها ذلك الشريان . فان حصل ذلك في الدماغ مثلاً نتج عنه ما يسمى بـ « جلطة الدماغ — Stroke » وشلل نصفي . وإذا اصيب احد شرايين القلب التاجية نتج عن ذلك ما يسمى « بالذبحة الصدرية "Angina" او "Infarction" . وفي هذا المقام سنحاول قصر البحث على مرض تصلب شرايين القلب .



ان واحداً من هؤلاء الخمسة رجال سيكون ضحية مرض تصلب شرايين القلب وقبل سن الـ ٦٥ .

مسبّبات هذا المرض

ان السبب الحقيقي لمرض تصلب الشرايين غير معروف حتى الآن . ولقد ذهب البعض إلى القول بأنه أحد الأمراض الطبيعية وانه جزء من « عملية الهرم — Aging Process » . وقد تبين من خلال أبحاث مستفيضة أجريت خلال الخمسة والعشرين عاماً الماضية ان هنالك علاقة وثيقة بين حلول هذا المرض بشكل مبكر (دون سن الـ٦٠) وبين بعض العوامل التي سميت فيما بعد « عوامل الخطر — Risk Factors »، ومن هذه العوامل : نسبة الدهن في الدم ، وازدياد ضغط الدم ، والتدخين ، ومرض السكري ، والسمنة المفرطة ، والحياة الخاملة ، والحالة النفسية للفرد والظروف المؤدية إلى توتر الأعصاب ، والوراثة . وسنعرض لبعض هذه العوامل بشيء من التفصيل وذلك لاهميتها.

٥ « ازدياد نسبة الدهنيات في الدم — Hyperlipidemia » .

تشكل المواد الدهنية في الدم احد ثلاث مركبات هي « الكولسترول » و« الترايجلسرايد — Triglyceride » و « الفسفودهنيات — Phospholipids » ولعل اهم هذه المركبات بالنسبة لبحثنا هذا هي مادة الكولسترول ، التي تتراوح نسبتها في الدم بين ١٧٥ ملغم ٪ و ٢٧٥ ملغم ٪

مع الأخذ بعين الاعتبار العمر والجنس والحالة الغذائية للانسان .

ان هناك من الاحصاءات والدراسات ما يثبت ان العلاقة المتبينة بين ارتفاع نسبة الكولسترول في الدم وانتشار مرض تصلب الشرايين علاقة طردية بمعنى انه اذا ارتفعت نسبة الكولسترول في الدم ارتفعت نسبة تنامي المرض . فمثلاً حين اجريت التجارب على الحيوانات لم يكن بالامكان احداث ترسب مادة الكولسترول والدهنيات في جدران شرايينها الا بزيادة كمية الكولسترول والدهنيات الأخرى وخاصة تلك التي من أصل حيواني — Saturated Fats في الطعام المقدم لهـا . وكانت النتيجة ان ارتفعت نسبة الدهن في الدم .

وبالمثل فان المجتمعات البشرية التي يكوّن الكولسترول والدهنيات الحيوانية جزءاً كبيراً من غذائها ينتشر مرض تصلب الشرايين فيها .

● **ارتفاع ضغط الدم** Hypertension

وكما هو الحال بالنسبة للكولسترول فان الأدلة التي تربط بين ارتفاع ضغط الدم ومرض تصلب الشرايين دامغة وهي من الكثرة بحيث يصعب حصرها . ومن المسلم به ان ارتفاع ضغط الدم يساعد على ترسب الكولسترول في جدران الشرايين مما يسبب تقلص هذه الشرايين خاصة اذا كانت نسبة الكولسترول في الدم مرتفعة .

ولسنا هنا بصدد البحث في مسببات ارتفاع ضغط الدم ولكننا نود ان نلفت الانتباه إلى ان ارتفاع ضغط الدم لأي سبب كان . يزيد من احتمال الاصابة بمرض تصلب الشرايين . وكما هو الحال بالنسبة للكولسترول كذلك فان العلاقة بين ارتفاع ضغط الدم ونسبة انتشار مرض تصلب الشرايين هي نسبة طردية فكلما ارتفع ضغط الدم زادت نسبة انتشار المرض والعكس صحيح .

كيفية حدوث وتطور مرض تصلب الشرايين

Pathogenesis

لا يوجد في الوقت الحاضر تفسير علمي دقيق لكيفية نشوء وتطور هذا المرض رغم وجود العديد من النظريات لتفسير ذلك . ولعل أقرب هذه النظريات إلى الصحة نظرية « Virchow » التي تقول انه نتيجة لعوامل محلية في الشريان يحدث نمو غير طبيعي في الجدار الداخلي للشريان نفسه "Intimal Proliferation" ثم تترسب تحته « مركبات دهنية — B-Lipoproteins » حيث تظهر في البداية كخيوط صفراء عند فتح الشريان ثم ما تلبث ان تنمو بترسب مواد دهنية أخرى وحدوث « تليف/Fibrosis » لتصبح « Atheromateus Plaque ». مع مرور الزمن ، ينمو هذا الترسب فتسبب تصلباً في الشريان المصاب ، ويؤدي بالتالي إلى تقلصه أو انسداده كلية مما ينتج عنه الأعراض المرضية في الأنسجة التي يغذيها ذلك الشريان .

وقد يحدث أحياناً « تقرّح — Ulceration » في ذلك الترسب مما يؤدي إلى تخثر الدم الذي يجري في الشريان« Thrombus Formation » فيسبب انسداده ، وقد يحدث أحياناً أخرى نزيف داخل الترسب « Hemorrhage in the plaque » مما قد يترتب عليه انسداد الشريان وظهور الأعراض .

ومما تجدر الاشارة اليه في هذا المجال ان عملية الترسب هذه تبدأ في سن مبكرة من الطفولة لذلك فان أياً من شرايين الجسم قد يصاب بهذا المرض ، ولكن « الشريان الأبهر Aorta » الذي يخرج من البطين الأيسر مباشرة هو أكثر تلك الشرايين تعرضاً للاصابة وخاصة عند مخارج الفروع . ويلي ذلك الشريانان التاجيان اللذان يغذيان القلب . وهذان الشريانان يتفرعان عن الشريان الأبهر الرئيسي ، أحدهما يخرج من الجهة اليمنى ويسمى الشريان التاجي الأيمن ويغذي معظم النصف الأيمن من القلب ، والآخر يخرج من الجهة اليسرى من الشريان الأبهر ويسمى الشريان التاجي الأيسر وهو الأهم ويغذي النصف الأيسر من القلب و« الحاجز الفاصل — Septum » بين النصف الأيمن والأيسر . وتتفرع هذه الشرايين إلى فروع عديدة لتغذي عضلات القلب بالدم النقي . والترسبات الدهنية عادة تصيب الثلث الأول من كل من هذه الشرايين قبل ان تتفرع او عند مخارج الفروع ، ولكن مع الزمن تزداد لتشمل معظم الفروع ، غير انه في البداية لا ينتج عن هذه الترسبات اية اعراض او تغيرات فسيولوجية فتبقى كمية الدم التي تصل إلى عضلات القلب طبيعية وكافية،ولكن مع نمو هذه الترسبات وبعد أن يتقلص الشريان إلى حوالي النصف تقل كمية الدم التي يمكن نقلها بواسطة ذلك الشريان إلى عضلة القلب ، أو انه في حالة ازدياد الحاجة إلى مزيد من الدم من قبل عضلة القلب في حالات الاجهاد كالرياضة او حمل الأثقال او صعود السلالم ، يكون ذلك الشريان المتقلص غير قادر على اداء مهمته لنقل الكمية اللازمة من الدم ، وفي هذه الأحوال تظهر اعراض المرض .

أعراض مرض تصلب شرايين القلب

يظهر هذا المرض في المريض المصاب في أحد الأشكال التالية : « الذبحة الصدرية الصغرى — Angina Pectoris » و« الذبحة الصدرية الحادة — Acute Myocardial Infarction » و« هبوط القلب — Heart Failure » وسنتناول كلا منها على حدة بشيء من التفصيل .

الذبحة الصدرية الصغرى

Angina Pectoris

يشكو المريض في هذه الحالة من ألم في الصدر ، ولهذا الألم خصائص عامة هي :

نوعية الألم

يصف المرضى هذا الألم بأوصاف مختلفة ومتعددة فمنهم من يصفه بثقل ، وبعضهم بضيق ، وآخرون بحرقة أو لهيب تحت عظم الصدر ، وبعض المرضى لا يرغب حتى بتسميته ألم بل يشكون من سوء هضم او احساس بالاختناق . أما عن شدة الألم فهي أيضاً تختلف من مريض إلى آخر ففي بعض الأحيان يكون

خفيفاً بحيث لا يسترعي انتباه المريض الا عند السؤال عنه من قبل الطبيب وأحياناً أخرى يكون من الحدة بحيث يقلق راحة المريض ويشغل باله .

موضع الألم

في غالب الأحيان يشير المريض بيد مقبوضة ووجه متجهم إلى « عظم الصدر — Strenum » كموضع الألم ، وفي بعض الأحيان ينحصر الألم في الجهة اليسرى الأمامية من الصدر أو في أحدى الكتفين او الذراعين (الجهة اليسرى في الغالب) وفي أحيان أخرى يشكو المريض من ألم في الفك الأسفل او الأسنان ، وكم من مريض مصاب بهذا المرض فقد بعضاً من أسنانه للاشتباه بأنها السبب في الألم ، مع العلم ان القلب هو مصدر هذا الألم، ومن المرضى من يشير إلى المعدة كموضع الألم مما يثير الشبهات حول كون المعدة بيت الداء خاصة لعلاقة الألم بالطعام كما سنبين فيما بعد .

الفترة التي يستغرقها الألم

وهي تتراوح عادة بين ٣ و ٥ دقائق حتى دون علاج خاصة اذا خلد المريض إلى الراحة وقت حدوث الألم . وأما في بعض الأحيان فقد يستمر الألم فترة تتراوح بين ١٥ و ٣٠ دقيقة وذلك حين اشتداد حدة المرض ليشمل معظم الشرايين التاجية .

الظروف التي ينشأ فيها الألم

هنالك علاقة وثيقة بين حدوث هذا الألم والاجهاد الجسدي أو النفسي تظهر في المراحل الاولى من المرض . لقد ذكرنا فيما مضى ان الاجهاد كالرياضة او حمل الاثقال او صعود السلالم خاصة في يوم بارد ، يزيد من متطلبات عضلة القلب للاكسجين الذي يحمله الدم عبر الشرايين التاجية وفي حال تقلص أحد هذه الشرايين بسبب مرض التصلب فان ذلك يمنع من وصول الكمية الكافية من الدم عبر ذلك الشريان مما يؤدي بالتالي إلى حدوث الذبحة الصدرية ، ومع استفحال المرض وانسداد الشرايين يحدث هنالك نقص في كمية الدم التي تصل إلى عضلة القلب مع أبسط جهد يقوم به المريض كوجبة طعام دسمة أو حتى بدون جهد يذكر . وفي مراحل المرض الأخيرة فان الألم يحدث أثناء النوم ويتكرر أثناء النهار مما يقلق راحة المريض . على أن سرعة اختفاء هذا الألم باخلاد المريض إلى الراحة أو بتعاطيه علاج الـ « Nitroglycerin » هي من أهم صفات هذا الألم خاصة في مراحل المرض الأولى . ولكن مع تطور المرض وازدياد حدته ، فان استجابة الالم للراحة والعلاج المذكور تصبح ضئيلة .

والآن وقد أوضحنا بشيء من التفصيل صفات هذا الألم ، اود أن أوكد على أمر بالغ الأهمية ، وهو انه يجب الأخذ بعين الاعتبار جميع هذه الصفات مجتمعة عند تشخيص أي ألم في الصدر . فليس كل ألم يشعر به المريض في الصدر يعني انه مصاب بذبحة صدرية فمعظم حالات مرض الصدر التي نراها في العيادة ليست لها أية علاقة بالذبحة الصدرية أو القلب . فعضلات الصدر والرئتان والبلعوم وحتى « القلق العصبي — Anxiety » كل ذلك قد يكون مصدر الألم . وفي المقابل فانه لا يجوز ان نهمل أي ألم في الصدر على اعتبار انه اعصاب أو روماتزم إلى غير ذلك من صفات تطلق جزافاً قبل التأكد من سلامة القلب وذلك بالتدقيق في المعلومات التي يعطيها المريض مع الأخذ بعين الاعتبار الصفات التي ذكرناها .

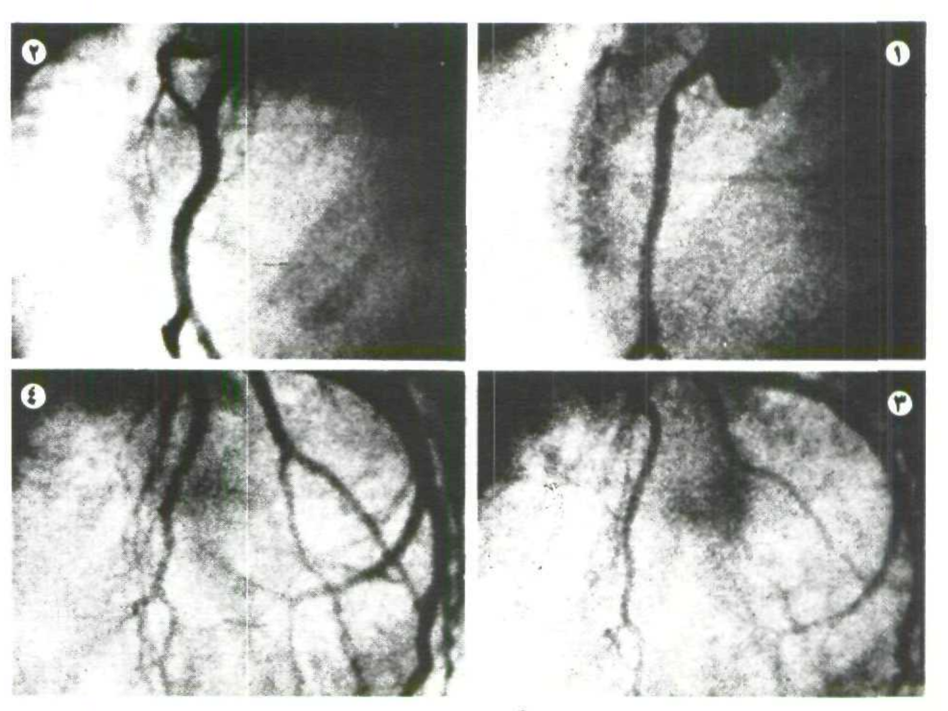
وفي حالات التشخيص ، يلجأ الطبيب إلى وسائل عدة تساعده في الوصول إلى تشخيص المرض وأهم هذه الوسائل هي :

- **التخطيط الكهربائي للقلب**
  Electrocardiogram

وهي وسيلة جيدة للتشخيص . وفي هذه الحال لا بد من رأي الاخصائي بتفسير التخطيط وربطه بحالة المريض ومحاولة الخروج بنتيجة معينة . الا انه يوجد هنالك مآخذ عدة على هذه الوسيلة ، منها انه يبقى ضمن الحدود الطبيعية في نسبة كبيرة من المرض خاصة اذا تم تسجيله في وقت لا يشكو فيه المريض من الألم ، ولذلك عمد المختصون إلى تطوير هذه الوسيلة بتسجيل تخطيط القلب أثناء التمرين « Exercise Electrocardiography » فأحرزوا بذلك تقدماً ملحوظاً لتشخيص هذا المرض .

- **التصوير الشعاعي الملون لشرايين القلب**
  Coronary Angiography

يلجأ إلى هذه الوسيلة عادة في الحالات التي يتعذر فيها الوصول إلى تشخيص نهائي حتى مع استعمال وسيلة التخطيط الكهربائي ، وتتم طريقة التصوير هذه بحقن الشرايين التاجية بمادة ملونة ثم أخذ صور شعاعية متعددة لهذه الشرايين وهذه الطريقة تبين بصورة لا تقبل الشك ما اذا كانت هذه الشرايين مصابة



في الصورة « ١ » يبدو الشريان التاجي مصاباً بالتقلص « Spasm » في بدايته وذلك بعد حقنه بمادة ملونة . وفي الصورة رقم « ٢ » يبدو الشريان نفسه وقد زال عنه التقلص اثر استعمال مادة « Nitroglycerin » أما الصورتان (٣ ، ٤) فتمثلان الشريان التاجي الأيسر وفروعه الرئيسية .

بالتصلب أم لا . ويرجع الفضل في اكتشاف هذه الوسيلة والتثبت من سلامتها إلى الدكتور — « Sones » منذ حوالي ١٥ سنة ويعتبر ذلك فتحاً جديداً في الطب الحديث استحق عليه الدكتور « Sones » كل التقدير .

● الذبحة الصدرية الحادة

Acute Myocardial Infarction

وفي هذه الحال يشكو المريض من ألم شديد تحت عظم الصـــدر « Substernal » ، ويشعر أحياناً وكأن صخرة ثقيلة وضعت على صدره ، وفي غالب الأحيان يمتد الألم ليشمل الجهة اليسرى من الصدر وينتقل إلى الرقبة والفك الأسفل والكتفين والذراعين وخاصة اليسرى مع الاحساس بخدر في اليد والأصابع ، ويستمر هذا الألم مدة تزيد على نصف ساعة وقد يدوم لبضع ساعات ، ويرافق هذا الألم شعور بالاختناق وضيق في التنفس وشعور عام بالارهاق ويتصبب العرق البارد من جبين المريض ويشحب لونه وقد يصاب بالغثيان ، وأثناء كل هذا يخلد المريض إلى السكون التام طالباً النجدة ممن حوله .

قد لا يكون لهذا الألم الحاد اية مقدمات فقد يحدث للمريض وهو جالس إلى مكتبه يزاول أعماله اليومية الاعتيادية ، وقد يحدث له أيضاً وهو في طريقه إلى عمله في الصباح خاصة في يوم قارس البرد . كما قد يحدث أيضاً أثناء النوم فيفيق المريض من نومه يتلوى من شدة الألم . واحياناً اخرى يسبق الحدث اعراض الذبحة الصدرية الصغرى « Angina » لبضعة أشهر تزداد حدتها تدريجياً لتنتهي إلى الذبحة الصدرية الحادة . هذه صورة عامة للمريض المصاب بالذبحة الصدرية الحادة وهي في غاية الوضوح بحيث لا يوجد هنالك أي لبس في التشخيص ولكن الحالة ليست دائماً بهذا الوضوح ، ففي بعض الأحيان يراجع المريض طبيبه يشكو من ألم في المعدة بعد وجبة دسمة من الطعام فيسمي الألم « عسر هضم » وقد يصيبه الغثيان فتلتبس الصورة ويبرز احتمال وجود التهاب في المعدة او المرارة او حتى في غدة البنكرياس . وفي هذه الحالة يلجأ الطبيب للوصول إلى التشخيص الصحيح إلى الوسائل المخبرية كتخطيط القلب بالكهرباء وفحص الدم للكشف على الانزيمات التي تخرج من خلايا القلب المصابة : Serum Enzymes CPK, SGOT, LDH, فتدل على نوعية المرض بصورة دقيقة ، وفي بعض الأحيان يتعين ادخال المريض إلى المستشفى بضعة أيام لاجراء الفحوص اللازمة التي تساعد ولا شك على تشخيص المرض .

لقد ذكرنا عند بحث الذبحة الصدرية الصغرى « Angina » انها تنتج عن خلل في التوازن الدقيق الموجود بين كمية الأوكسجين في الدم اللازمة لعضلة القلب « Oxygen Demand » وبين كمية الدم التي ترد إلى القلب « Oxygen Supply » . وفي حالة « الذبحة الصدرية الحادة — Acute Infarct » يكون هذا الخلل أشد حدة وذلك بسبب ازدياد مفاجيء في تقلص الشرايين التاجية ونقص حاد في كمية الدم التي تصل إلى عضلة القلب ، ونتيجة لهذا النقص في الاكسجين الذي لا غنى لعضلة القلب عنه يحدث تلف او عطب « Necrosis » في جزء من عضلة القلب يختلف حجمها باختلاف مقدار النقص في كمية الأوكسجين ويختلف موقعها من القلب باختلاف الشريان التاجي المصاب . وبالتالي فان حجم هذا التلف وموقعه من القلب يقرران العواقب الناجمة عن هذه الحالة .

لعل الساعة الأولى من حلول الذبحة الصدرية الحادة هي أدق وأخطر مراحل هذا المرض . ففي هذه الساعة يكمن خطر اضطراب نظام دقات القلب « Arrhythmia » الذي قد يودي بحياة المريض في الدقائق الأولى من المرض . ولذا نرى ان بعض البلدان المتقدمة تلجأ إلى استخدام وحدات طبية متنقلة خاصة بمرضى القلب « Mobile Coronary Care Units » تجوب شوارع المدن بانتظار طلب مستعجل من أحد المرضى لتصل اليه بالسرعة القصوى الممكنة . وفي حال مرور الساعات الأولى بسلام ووصول المريض إلى المستشفى ينقل إلى وحدة خاصة حيث تسجل دقات قلبه بواسطة آلة تسجيل خاصة « Monitor » ، وخلال وجوده في المستشفى يظل المريض تحت رقابة دقيقة من قبل الأطباء المختصين .

● الموت الفجائي او ما يسمى بالسكتة القلبية

Sudden Death

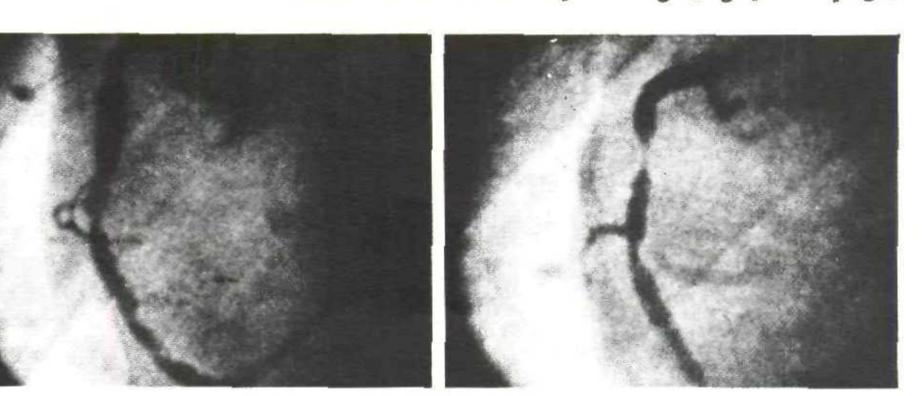
ان مرضى تصلب شرايين القلب معرضون للموت الفجائي . ويعتقد الاخصائيون ان السبب في ذلك يعزى إلى حدوث اضطراب في نظام دقات القلب « Arrhythmia » .

● هبوط عام في القلب — Heart Failure

ويحدث عادة نتيجة نقص عام في كمية الاوكسجين التي تصل إلى عضلة القلب ، « Ischemic Cardiomyopathy » وذلك بسبب اصابة معظم شرايين القلب بالتصلب ، وفي هذه الحالة يشكو المريض عادة من ضعف عام في الجسم والاجهاد السريع وضيق التنفس وتورم عام في الجسم . وحين يصل المريض إلى هذه المرحلة يكون قد قارب نهاية الشوط .

العِـــــلاج

والآن وبعد أن استعرضنا العواقب الوخيمة لهذا المرض يبرز أمامنا سؤال وهو : هل هنالك من علاج ناجع ؟ أو بالأحرى هل هنالك من طريقة لمنع حدوث هذا المرض ؟ وللاجابة على هذا السؤال لا بد من العودة إلى ما ذكرناه سالفاً من أن السبب الحقيقي لهذا المرض ما يزال مجهولاً ولكن العوامل المساعدة او « عوامل الخطر — "Risk Factors" » التي تساعد على تفشي المرض وسرعة تطورة معروفة تماماً ، ولذلك فان الجهود تنصب الآن على مكافحة هذه العوامل بكل الوسائل . وما نود ان نؤكده من جديد ان هذه الجهود ، اذا اريد لها النجاح ،



صورتان للشريان التاجي الأيمن اثر اصابته بالتصلب « Atherosclerosis » ، وتبدو في الصورة الأجزاء المتقلصة من الشريان بعد حقنه بمادة ملونه .

فلا بد من أن تبدأ في وقت مبكر قبل أن يستفحل المرض .

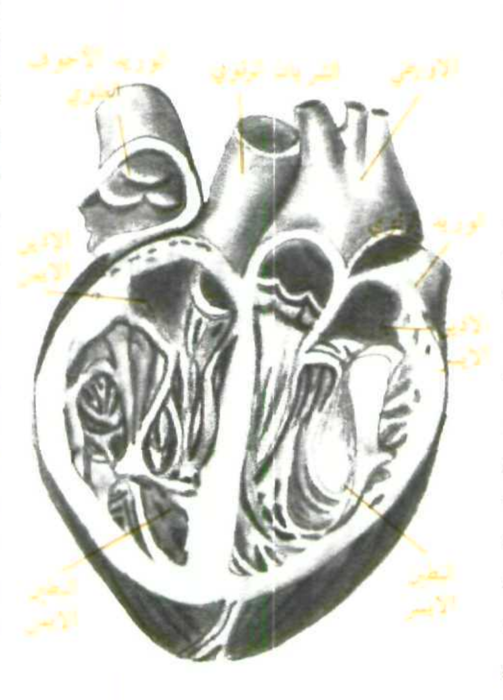
فبالنسبة للدهنيات والكوليسترول ، فان الترسبات تحدث في سن مبكرة من الطفولة مما يستلزم مكافحتها في تلك السن ، ولا يمكن ان تعطي هذه المكافحة ثمارها الا اذا كانت على مستوى المجتمع بشكل عام وذلك باحداث تغيير جذري في طرق التغذية المتبعة ونوعية الغذاء . والمطلوب هنا تثقيف الناس بصورة جماعية عن طريق عرض برامج اذاعية وتلفزيونية تتعلق بأنواع الأغذية التي تسبب ارتفاعاً في نسبة الكوليسترول والدهنيات الأخرى في الدم وخاصة المواد الدهنية التي من أصل حيواني «Saturated Fats» وصفار البيض ومشتقات الحليب كامل الدسم مثل الايسكريم والجبن والزبدة . ويلاحظ ان هذه الأغذية هي من أكثر أنواع الأغذية استهلاكاً لدى معظم الناس . ولذلك فانه من الصعوبة بمكان اقناع الناس بالتخلي عن المأكولات المحببة لديهم . ولكن وكما ذكرنا آنفاً اذا اردنا تخفيف حدة انتشار هذا المرض فلا بد من القيام بعمل جذري في هذا المجال .

أما بالنسبة لمعالجة المرض بعد حدوثه ، فهناك دراسات عديدة اثبتت فعالية الحد من المأكولات الغنية بالكوليسترول في تخفيف سرعة تطور المرض خاصة اذا كانت نسبة الكوليسترول مرتفعة لدى هؤلاء المرضى . وبهذه الطريقة يمكن أن تنخفض نسبة الكوليسترول في الدم ١٥٪ . وهناك عقاقير طبية عديدة من الممكن استعمالها لهذا الغرض بالاضافة إلى التغذية للتخفيف من نسبة الكوليسترول في الدم نذكر منها على سبيل المثال «Atromid-S» وهذا بالطبع يتم تحت اشراف الطبيب المختص وحسب تعليماته وارشاداته .

وبالنسبة لارتفاع ضغط الدم فاني انصح كل شخص تجاوز سن الثلاثين رجلاً كان او امرأة ، أن يقيس ضغط دمه لدى الطبيب على الأقل مرة كل سنة سواء أكان سليماً أم مريضاً ، وفي حال اكتشاف ازدياد ضغط الدم تجب معالجته بحيث يعود إلى المستوى الطبيعي ، ولدى الأطباء الآن من العقاقير الطبية ما يساعد على تحقيق ذلك بسهولة .

وأود أيضاً أن أنبه المرضى إلى حقيقة مهمة وهي أن ارتفاع ضغط الدم مرض مزمن وفي الغالب يلازم صاحبه ما دام على قيد الحياة . من هنا تأتي الحاجة إلى متابعة العلاج ومراجعة الطبيب على فترات منتظمة يحددها حسب حالة المريض (مرة كل شهر مثلاً) . وعلى المريض ألا يترك العلاج او يقلل من استعماله دون استشارة الطبيب لمجرد انه يشعر بتحسن أو لزوال الأعراض . فهنالك طريقة واحدة لمعرفة ضغط الدم وذلك بقياسه بجهاز خاص وليس بوجود الاعراض او عدمها . فارتفاع ضغط الدم ليس كالتهاب اللوزتين مثلاً حيث يتعاطى المريض علاجاً من أقراص او حقن تساعد على زوال المرض ولا يعود هنالك حاجة لتعاطي مزيد من الأدوية . فاذا كان ضغط الدم قد استجاب للعلاج ونزل إلى المستوى الطبيعي فلا يعني ذلك أن يوقف المريض العلاج بل على العكس فان تحسن الضغط مرتبط بأخذ العلاج .

وفي هذا المجال فلا بد من ذكر مضار



الافراط في السمنة كأحد العوامل المساعدة للمرض وضرورة منع مثل ذلك من الحدوث وذلك بتثقيف الناس صحياً ليتعودوا العادات السليمة في التغذية ، وتشجيعهم على تجنب حياة الخمول وحثهم على ممارسة الألعاب الرياضية التي يجد المرء في مزاولتها المتعة والصحة .

والآن لا بد من ذكر بعض الملاحظات بخصوص علاج اعراض هذا المرض . واولى هذه الملاحظات معالجة ارتفاع نسبة الكوليسترول في الدم ان وجدت ، ومعالجة ارتفاع ضغط الدم ، ونبذ التدخين وتخفيف الوزن للمصابين بالسمنة . بعد كل ذلك ينصح المريض بتجنب الاجهاد وممارسة نوع من الرياضة الخفيفة كالمشي والسباحة . وبالنسبة لالم الذبحة الصدرية الصغرى «Angina Pectoris» فمن السهل ازالته بسرعة بمادة الـ «Nitroglycerin» وهي عبارة عن أقراص مص يتعاطاها المريض عند حدوث الألم مباشرة . وتقل فائدة هذا العلاج عند استفحال المرض وازدياد حدته ، وفي هذه الحالة يضاف إلى هذا العلاج اقراص الـ «Inderal» ويتم ذلك بالطبع تحت اشراف الطبيب المختص . وفي حالة عدم استجابة الألم للمعالجة بالعقاقير استحدث جراحو القلب وسيلة جديدة ومثيرة للعلاج وذلك بنقل وصلة من الوريد في احدى الفخذين وزرعها بحيث يوصل احد طرفيها في الشريان الأبهر «Aorta» ويوصل الطرف الآخر في الشريان التاجي المصاب في نقطة تقع بُعيْد انسداده «Aorto-Coronary Vein Graft Bypass Surgery» والغرض من ذلك إيصال دم جديد ليغذي عضلة القلب المصابة . وقبل ان يقرر الأطباء اجراء مثل هذه العملية الجراحية تدرس حالة المريض دراسة وافية وتجرى له فحوص مستفيضة بما في ذلك التصوير الشعاعي الملون للشرايين التاجية لتحديد مدى الاصابة بالمرض والموقع المناسب لزرع الوريد الجديد «Vein Graft» . وباستطلاع النتائج الأولية لهذه الطريقة المبتكرة للعلاج فان نسبة كبيرة من المرضى الذين يختارون لمثل هذه العملية يحالفهم الحظ (٨٠ ــ ٩٠٪) ويزول الألم . غير انه من غير الحكمة استعمال مثل هذه العملية لمعالجة مرضى الذبحة الصدرية «Angina» بشكل عام وبالأخص في مراحل المرض الأولى ، بل لا بد من تمحيص نتائج هذه العملية والتأكد من الفائدة المرجوة منها وهذا بطبيعة الحال يستلزم بعض الوقت ، أما المرضى الذين ينصحون باجراء هذه العملية الجراحية هم الذين لم يعد العلاج بالعقاقير مجدياً في ازالة الألم عنهم ، او أولئك الذين اقعدهم الألم عن القيام بابسط اعمالهم اليومية ●

د. ابراهيم ناصر
جامعة البترول والمعادن ــ الظهران

الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية

تأليف: الدكتور بكري شيخ أمين

عرض وتعليق: الاستاذ عبد العزيز الرفاعي



(٤)

هذه هي الحلقة الأخيرة من هذه السلسلة من المقالات التي تناولت الحديث بها عن هذا الكتاب القيم . .

في اولى الحلقات جاء الحديث تعريفاً بالكتاب وتنويهاً به ، وفي الثانية والثالثة ، ذكراً لملاحظاتي العامة عنه . .

أما هذه الحلقة فتتناول تعليقاتي عليه ، وبعض الهوامش وكلمة ختامية .

تعليقات

أسرد فيما يلي بعض ملاحظاتي على الكتاب مشيراً إلى الصفحات :

٭ في صفحة ٢١ ، قال المؤلف في الهامش معرفاً بالدرعية : « الدرعية العاصمة الأولى لآل سعود ، وتقع في الشمال الغربي للرياض ، وهناك مكان آخر بهذا الاسم في القطيف في منطقة الاحساء الشرقية ، ويظهر ان رجلاً اسمه « ربيعة بن مانع » قدم من الدرعية في القطيف إلى ابن عمه « ابن درع » وكان هذا زعيم عشيرة « الدروع » الذين كانوا يقطنون القرى المهجورة من « جزع » و « هجر » « اليمامة » وكان موسراً فأقطع ابن عمه قطعتين من الأرض . . »

ويلاحظ على هذا النص ما يلي :

٭ ان التعبير « بمنطقة الاحساء الشرقية » يقتضي وجود « الاحساء الغربية » وكان يكفي ان يقال « الاحساء » او يقال « المنطقة الشرقية » كما يعبر اليوم ، أو يقال الاحساء بالمنطقة الشرقية . . اذا اراد ان يجمع بينهما . .

٭ ان التعبير بكلمة « يظهر » يقتضي الاستنتاج الشخصي ، الذي يحتمل فيه النفي او الثبوت . . وكان يسع المؤلف الباحث ، وقد عرفنا فيه الاستيعاب والشمول والتدقيق ، أن يجزم برأي بعد تعميق البحث . .

٭ أما الرجل الذي قدم من القطيف إلى حجر اليمامة « الرياض » سابقاً ، وأسس الدرعية فليس هو « ربيعة بن مانع » . . وانما هو « مانع المريدي » أنزل بعض أبناء عمومته من أصحاب « حجر اليمامة » في مرتفع بوادي حنيفة يشتمل على قريتين هما « المليبيد » و « غصيبة » على نحو ٢٠ كيلومتراً من الرياض ، بنى فيه مساكن له ولمن كان معه ، واسموا قريتهم الجديدة « الدرعية » على اسم قريتهم الأولى في القطيف . فلما توفي سنة ٨٥٨هـ (١٤٥٤م) خلفه ابنه « ربيعة بن مانع » الذي ترأس أهل الدرعية بعده ، ومن ذريته جاء آل سعود . . انظر الزركلي ص ٣١ وما بعدها من كتاب « شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز » .

٭ ص – ٧٥ جاء في السطر الثالث منها « راشد بن حنين » بالحاء وصحة الاسم بالخاء المعجمة لا بالحاء المهملة .

٭ ص – ٨٠ قال عن شعراء الدعوة الثلاثة : ابن مشرف وابن سحمان ، وابن عثيمين : « فلا غرابة اذا أنكر بعض الناس على هؤلاء الثلاثة لقب « شعراء » ورضي بان يصفهم بالنظامين » ثم لم يعقب على هذه الكلمة بشيء ، وكأنه يقرها على علاتها . . وأرى ان هذا الوصف جائر في حق ابن عثيمين . . فعلى منهجه التقليدي ، كان الرجل شاعراً جميل الديباجة ، فليته وقف عند بعض روائعه كقصيدته الميمية التي يقول في مطلعها :

نعم هذه اطلال سلمى فسلّم
وأرخْ بها سيل الشؤون وأسجم

وفيها يقول :

سهرنا فناموا ، وارتحلنا فخيموا
عناء لنجديّ علاقة متهم
بلى . . حين خادعت اللجاجةَ بالأسى
ومنّيتها بالظن صبر المرحّم
تراءت لمشغوف بها لتعيده
ظلوم الهوى في دائه المتقدم
وأوحت إلى طرفي بايماض طرفها
وهزت قواماً كالقضيب المنعم
فكنت امنّي النفس جد ممازح
فعدت بما شاهدته جد مغرم

كلا يا صاحبي ، انه عندي شاعر ملء اهابه . . وبودي لو يتاح لهذا الرجل من يدرسه دراسة واعية لينصفه . .

اما ابن مشرف وابن سحمان ، فلم تتح لي دراسة شيء من آثارهما . . فلا يسعني أن أدلي في شأنهما برأي . .

على ان المؤلف نفسه ، قد عاد فاستدرك ، فيما يتعلق بابن عثيمين ، ولكن في موضع آخر متأخر ، في ص–٩٤ حينما صارح برأيه قائلاً عن مديح الشعراء الثلاثة : « أما أسلوب هذا المديح ، فليس مما يشبه

٭ نشرت الحلقة الثالثة في عدد رمضان ١٣٩٥ .

روائع الفحول من القدامى المداحين كالنابغة والحطيئة وجرير والمتنبي ، بل هو إلى صفة « الكلام المنظوم » أقرب إلا قليلاً من قصائد ابن عثيمين فقد سمت سمواً كبيراً » .

وما دامت بعض قصائد ابن عثيمين قد سمت سمواً كبيراً ، فهو إذن شاعر .. يرتفع شعره ويهبط كأي شاعر آخر يحلّق أحياناً ، ولا يحلق أحياناً أخرى . فلم نعده ضمن النظامين ؟

• ص – ١٤٦ ورد اسم مدرسة الفلاح في السطر الأخير قبل الهامش بتشديد اللام ، مما يفهم منه ان المدرسة انشئت للمزارع – والصحيح انها بتخفيف اللام ، من فلح بمعنى ظفر .

• ص – ١٤٧ السطر ١٣ ورد اسم « سالم شفي » وضبطت الفاء بالفتح والصحيح بالكسر .

• ص – ١٤٧ في الهامش رقم (١) تعريف بالخندريسة جاء قوله : « اسم حارة بمكة وهي قسم من حارة الباب » وكان يكفي ان يقال : (قسم من حارة الباب) ذلك انها لا تعد في العرف المحلي « حارة » بذاتها .. وانما هي حي من حارة .

• ص – ١٥١ جاء ذكر الأستاذ « حسين عرب » ضمن خريجي مدارس الفلاح ، والصحيح انه خريج المعهد العلمي السعودي ، تماماً كما أورد المؤلف نفسه في ترجمته هامش صفحة ٢١١ .

• جاء في ص – ٢١٠ في ترجمة الاستاذ الشاعر « حسن عبدالله القرشي » انه تخرج من المعهد العلمي السعودي بمكة . فهو فيما أعرف خريج مدرسة الفلاح بمكة ، ثم حصل على الاجازة في الآداب من جامعة الرياض .

• ورد في ص – ٢١٢ في ترجمة الأستاذ « أحمد السباعي » انه شاعر نشر انتاجه في الصحف السعودية الفردية ، ولم يجمعها في ديوان مستقل ، ولا يزال إلى اليوم ينشر بين الحين والحين بعض القصائد .. »

والذي اعرفه من استاذنا السباعي ، أمد الله في حياته ، كاتب اجتماعي كبير ، وهو في مجال القصة من روادها .. ولكنه لم يشتهر بالشعر ، وان كان قد قاله .. كما انني لم أر له في الصحف قصائد تنشر بين الحين والحين .. وانها من الكثرة بحيث يصح ان تنشر في ديوان .. فان وجدت فاني اتمنى حقاً أن يضم شتاتها ديوان ..

• وذكر المؤلف في ص – ٢١٣ ، الهامش رقم ٥ في ترجمة اللواء الاستاذ « علي زين العابدين » ان له ديواني شعر ، هما « تغريد » و « صليل » ولكني لا أعرف له ديواناً منشوراً ، وقد رجعت أيضاً إلى « معجم المطبوعات السعودية » فلم أجد لهذين الديوانين ذكراً .. فلعلهما لا يزالان مخطوطين .

• في ص – ٢٧٥ ، ترجم في الهامش رقم ٣ للاستاذ المفضال « ابراهيم فطاني » وذكر ان له ديوان « بورسعيد الخالدة » .. وذكر ان مرجعه .(المنهل – ٨٩٣/٢٧) ..

ولما كنت أعرف ان هذا الديوان انما هو للاستاذ الشاعر السفير « حسين فطاني » وليس للأستاذ الشيخ « ابراهيم فطاني » .. فقد رجعت إلى عدد المنهل الذي عينه المؤلف .. فلم أجد فيه أي ذكر للديوان المذكور .. وهذا الديوان لم يرد ذكره في معجم المطبوعات السعودية .

والاستاذان : ابراهيم وحسين ، شاعران من أسرة واحدة ..

• عاب المؤلف على القاص الاستاذ عبدالله عبد الرحمن جفري ، ص – ٥١٧ قوله في وصف غروب الشمس : « انها مخضبة بالشفق القاني ، تنحدر وراء الجبال الشامخة التي شهدت كثيراً من أحداث الحجاز »

اخذ عليه أن تغرب الشمس وراء الجبال .. بينما هي تتجه إلى البحر ، وليس بينها وبين المراقبة جبال ..

ولو اتيح للأستاذ المؤلف أن يعيش في بلد تحيط به الجبال من كل نواحيه كمكة أو الطائف .. لعرف صدق هذا الوصف من الاستاذ الجفري ، ابن مكة .

ويبدو ان الاستاذ المؤلف كان شديداً في نقده للقاص الجفري ، شدة ذهبت بعيداً ..

مثلاً .. يقول الجفري : « .. سمع صوت النحيب المتقطع الخافت الذي ينحدر إلى أذنه من نافذة البيت الذي يقع تحت متجره المتواضع » فيعلق المؤلف : « وتستغرب وضع البيت الذي يقع « تحت متجره المتواضع .. وأقول : لم لا يكون الخطأ هنا مطبعياً وصحته « تحته » .

ويقول الجفري في موضع آخر : « وانجبت من زوجها » فيعلق المؤلف : فهل تنجب المرأة الخلوق من غير زوجها ؟ « وأقول : ان مثل هذا التعبير يشيع في بعض بيئات المملكة .. ولا غبار عليه ، والمقصود هو تحديد الزوج الذي انجبت منه . فهو والد ابنائها وليس زوجاً آخر .. !

• جاء في ص – ٥٤٢ ذكر كتاب « نفثات من اقلام الشباب الحجازي » في الهامش وان مؤلفيه هم : ساسي ، مزعق ، زواوي .. وصحة الاسم الثاني : فدعق ، بالفاء فالدال ، وهو الأستاذ السيد علي حسن فدعق . ويبدو أنه خطأ مطبعي فقد جاء الاسم مصححاً في الفهرس (ص – ٦٩٢) ..

والأستاذ الفدعق : تخرج من مدرسة الفلاح بمكة ، وتحصل على شهادة الحقوق من مصر ، وحصل على دبلوم في شئون الميزانية . وأصدر كتاباً في الرحلات هو « أيام في الشرق الأقصى » يكتب في النقد الاجتماعي ، والاقتصادي وله شعر وثقافة واسعة ..

كتبت عنه هذا التعريف الموجز لأنني لاحظت ان المؤلف لم يترجم له خلافاً لعادته ..

• كتب في ص – ٥٨١ عن مجلة اليمامة انها لا تزال تصدر اليوم وتنهج « المهيع » الذي كانت تصدر به من قبل من حيث العناية بالبحوث الدسمة ، إلا أن هذه البحوث قلت من حيث الكم . وأود أن أذكر ان « اليمامة » على عهد الاستاذ الجاسر كانت كذلك حقاً . أما هي الآن فمجلة جامعة ، تذكر القضايا العادية إلى جانب المقالات ، واخبار الرياضة .. وليس للأستاذ حمد الآن من ناحية التحرير صلة بهذه المجلة وقد انتقلت صفة الجدية المحضة إلى مجلته « العرب » .

• ترجم المؤلف في الهامش رقم (٢) ص – ٥٨٩ للحسن الهمداني ، صاحب كتاب « صفة جزيرة العرب » فلم يذكر عصره ، ولا سنة مولده أو وفاته . فأذكر انه توفي سنة ٣٣٤هـ (٩٤٥م) يراجع الاعلام للزركلي .

• أخذ على ابن بليهد ص – ٥٩٣ ، خلال نقده لكتابه « صحيح الأخبار » بأنه يرتجل بعض المعلومات بدون مصادر ، وساق دليلاً على ذلك ، انه ذكر عن امرىء القيس ، انه من اهل « ذي جرة » من مخلاف السكاسك في اليمن بينما المعروف انه ولد في نجد ..

وكان بودي ما دام محور النقد هو « ارتجال المعلومات » ان لا يكتفي المؤلف الفاضل بالارتجال أيضاً ، وأن يذكر لنا مصدره أيضاً في أن امرأ القيس من نجد لا من اليمن .

أما كونه ولد بنجد ، فان هذا لا يمنع ان تكون اسرته يمنية . .

والصحيح انه يماني الاصل ، مولده بنجد (يراجع الاعلام للزركلي)

• أشار في ص – ٦٢٨ في المتن والهامش إلى بعض كتب التاريخ والتراجم والسير ، ولكنه لم يذكر المؤلف المحقق الشيخ حسين عبدالله باسلامه ، رحمه الله ، ولا اطالب المؤلف الفاضل ، بأن يحصي في هذه المناسبة كل من ألف في التاريخ ولكني لاحظت انه لم يذكر هذا المؤلف الكبير في أية مناسبة ، وكأنه لم يبلغه عنه شيء . . وقد سلف ان أشرت إلى هذا . .

باسلامه الف في سيرة النبي كتابه « حياة سيد العرب » وقد طبع أكثر من مرة ، وله في سيرة الخلفاء الراشدين كتاب مخطوط ، ومن كتبه المطبوعة « تاريخ عمارة الكعبة » و « تاريخ عمارة المسجد الحرام » و « الاسلام في نظر اعلام الغرب » وبعضها طبع لأكثر من مرة . .

• رأيت شيئاً من التناقض بين قول المؤلف في ص – ٦٣٤ « ان العمل التاريخي لم يكن عملاً يمكن ان يجني منه صاحبه الرزق والقوت » ثم قوله بعد ذلك بثلاثة أسطر « والعطار أديب يعيش على مؤلفاته الأدبية وتحقيقاته » .

• في الفهرست خلط بين الساسيين : عبد السلام الساسي ، صاحب المؤلفات الأدبية وبين الطيب الساسي رئيس تحرير جريدة القبلة ، رحمه الله ، وذلك في الكلام على الأخير . وأهم من هذا سقوط حرف الزاى – مثل الزمخشري ، زيدان . .

هوامش

وهذه تعليقات هامشية على بعض ما ورد في الكتاب تتعلق ببعض الأحداث التي جدت بعد أن صدر الكتاب ، أو خلال اعداده . . فهي غالباً اضافات لا ملاحظات :

• ترجم المؤلف للشيخ « محمد صالح نصيف » في هامش ص –١١٢ . . ويضاف إلى الترجمة انه توفي بعد ذلك ، وأحسب ان وفاته كانت سنة ١٣٩٢هـ ، وهو صاحب امتياز جريدة « بريد الحجاز » في عهد الحسين ، انظر كتاب « الصحافة في الحجاز » ص – ١٠٩ للدكتور محمد عبد الرحمن الشامخ ، وهو من المؤلفين السعوديين ، وهو الذي اصـدر بعد ذلك « صوت الحجاز » امتداداً لسالفتها ، ثم أصبح اسم هذه الجريدة فيما بعد « البلاد السعودية » ، وسميت أخيراً « البلاد » . . ولا تزال تصدر .

• وفي هامش ص – ١١٤ « الفقرة – ٣ » ذكر المؤلف ان للاستاذ « عثمان حافظ » مؤلفات منها « تاريخ الصحافة في بلادنا » وانه لم يطبع بعد .

هذا الكتاب تم طبعه سنة ١٣٩١هـ بعنوان « تطور الصحافة في المملكة العربية السعودية » انظر ص – ١٦ منه معجم المطبوعات السعودية الصادر في بداية ١٣٩٣هـ .

• جاء في ص ١١٥ قوله « وفي سنة ١٣٦٦هـ/١٩٤٦م ، صدرت بمكة المكرمة ، « مجلة الحج » الشهرية ، وهي حكومية تتبع مديرية شئون الحج « سابقاً » و « وزارة الحج والأوقاف » لاحقاً رأس تحريرها أول صدورها هاشم زواوي ، ثم محمد سعيد العامودي ، ولا يزال هذا قائماً على الاشراف عليها ، ومن اسم هذه المجلة يعرف اتجاهها الاسلامي والديني ، والاهتمام بشعيرة الحج خاصة » .

وتعليقي : ان مجلة الحج ، أصبح اسمها حالياً « مجلة التضامن الاسلامي » ، وان الاستاذ « محمد سعيد العامودي » أصبح رئيس مجلة « رابطة العالم الاسلامي » ولم يعد رئيساً لتحرير مجلة « التضامن الاسلامي » ، أو مشرفاً على تحريرها .

• ترجم الاستاذ المؤلف في الهامش رقم – ٥ من ص – ٢١٢ للاستاذ « محمد سعيد دفتردار » وأضيف أن الشيخ « دفتردار » قد انتقل إلى رحمة الله تعالى . . واحسب ذلك منذ ثلاث سنوات ، خلال اعداد المؤلف كتابه للنشر .

• في ص ٢١٣ ، ترجم المؤلف في الهامش رقم – ٤ للاستاذ « مقبل العيسى » وذكر ان له ديواناً مخطوطاً ، وأود أن أضيف الآن انه قد نشرت له مجموعة شعرية بعنوان « قصائد من مقبل العيسى » وذلك سنة ١٣٩٣هـ (١٩٧٣م) .

• في ص – ٢١٥ ، في الهامش رقم – ٥ ذكر المؤلف دواوين الاستاذ « أحمد قنديل » ومؤلفاته يضاف إلى تلك المؤلفات « قريتي الخضراء » قصيدة تصويرية ، في حجم صغير ، وكذلك « مشاعر وشاعر » ..

• عنون المؤلف الفصل الثاني ، من الباب الخامس ، ص – ٣٩٠ بعنوان « مصادر الشعر السعودي » وهو يقصد المنابع التي استمد منها الشعراء السعوديون أفكارهم او أساليبهم . . ولكن هذا العنوان ، يوحي للوهلة الأولى ، أن المقصود هو الحديث عن مصادر الشعر السعودي ومراجعه ، التي يصح ان يرجع اليها الباحثون عن هذا الشعر .

كلمة ختام

وبعد ، فمهما تكن الملاحظات التي ترد على كتاب « الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية » فانه يظل كتاباً هاماً ومصدراً جيداً . . ويظل لمؤلفه فضل كبير في هذا الجهد الضخم الذي بذله فيه . . وهو جهد لا يتوفر الا لباحث دؤوب نشط . .

وانني لأتطلع ان تكون الطبعة التالية للكتاب ، خالية من شوائبه ، مستكملة لنواقصه . . مستوفية لاسماء المؤلفين الذين لم يذكروا في طبعته هذه ، إما عن سهو ، او لأن انتاجهم صدر خلال اعداد المؤلف الفاضل لمادة كتابه . وانني لاذكر هنا بعض الأسماء التي خلا منها الكتاب : « لقمان يونس » صاحب المجموعة القصصية « من مكة مع التحيات » وقد صدر عام ١٣٨٣هـ / ١٩٦٤م ، وصاحب هذا الاسم من الكتاب اللامعين وخاصة في القصة . . ويمتاز بأسلوب خاص متميز . . ومن كتاب القصة أيضاً امين عبد المجيد .

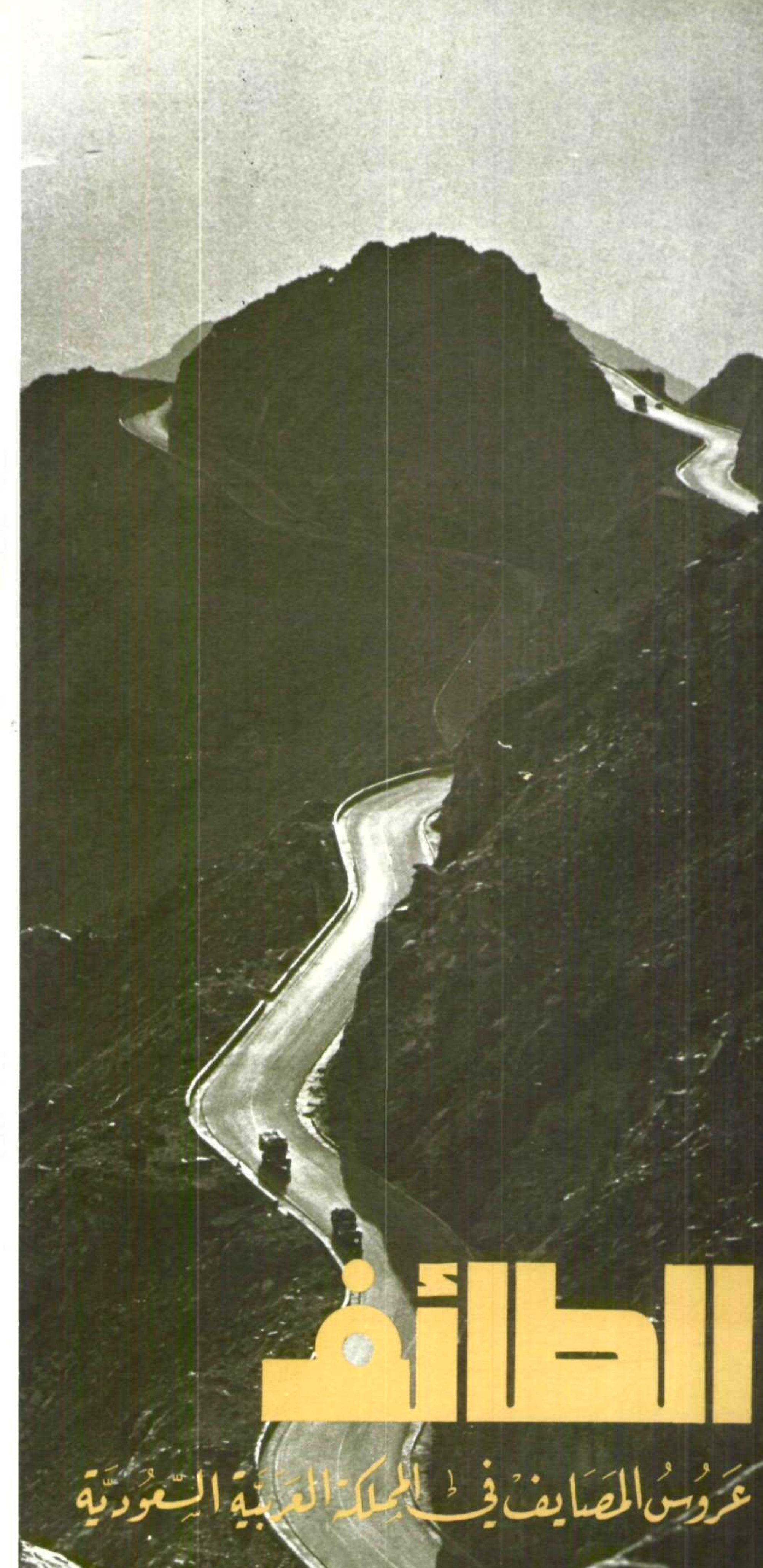
وهناك أيضاً ، ثاني المنصور ، رحمه الله ، كاتب وشاعر . . والدكتور حسن شاذلي فرهود « محقق » والاستاذ خليل ابراهيم الفزيع ، كاتب وقاص ، والدكتور محمد سعيد الشعفي « مؤرخ » وحسين عبدالله باسلامة ، رحمه الله « مؤرخ » والأستاذ عائض نبيه الردادي أديب وباحث ،ومحمود عيسى المشهدي قاص ، والاستاذ يحيى ساعاتي مؤلف ومحقق .

ولست بسبيل الحصر . ولكني بسبيل المثال .

وتحية وافرة للمؤلف أختتم بها بحثي ، فقد أتاح لي لا فرصة المتعة بكتابه فحسب ، بل فرصة البحث والمراجعة ●

عبد العزيز الرفاعي – الرياض

مَدينةٌ عَربيّةٌ عَريقةٌ في أصالتِها ، وَتُحيطُ بها الجِ
مِمّنها الخُضْرةُ اليانعةُ فيها مِنَ الفاكِهةِ أصْنافٌ عَديدَة
لِلراحةِ والهُدُوءِ ، وَيَقْصُدُها المُصْطافونَ مِنْ شتّى أنح
اللهُ مَكانةً مَرمُوقةً بَيْنَ مُدُنِ المملكةِ لِما حَباها مِنْ جَوٍّ
وَطَبيعةٍ فاتنةٍ وأرضٍ معْطاء . وبفَضْلِ هذهِ الميّزاتِ الفَريدةِ نَ



الطائف

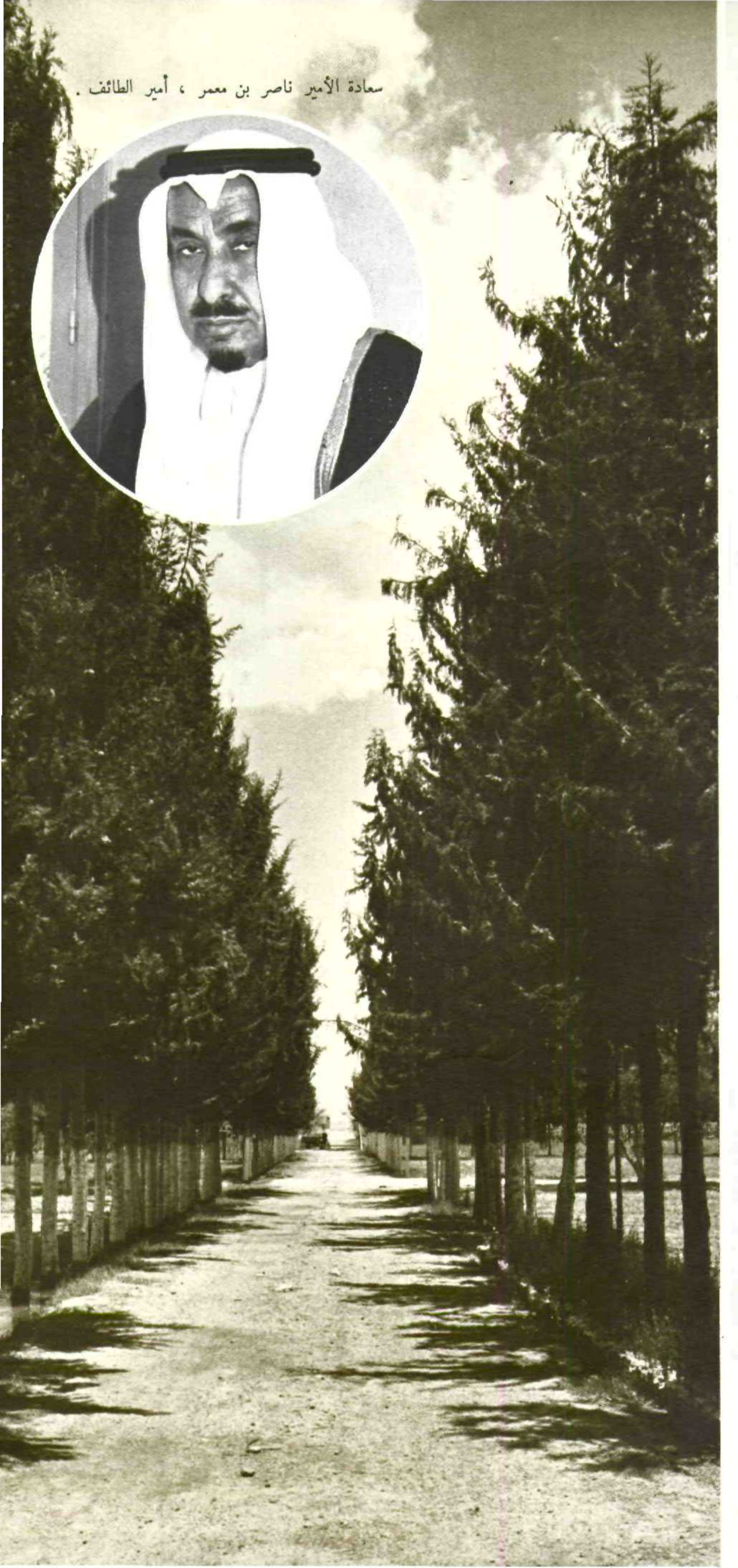
عروس المصايف في المملكة العربية السعودية

الموقع الجغرافي للطائف

تقع الطائف على ارض مرتفعة تدعى جبل غزوان وعلى خط العرض ٢١ درجة وفي الجنوب الشرقي من مكة المكرمة وعلى بعد ٨٧ كيلومتراً من المدينة المقدسة عن طريق جبل كرا . وترتفع عن سطح البحر حوالي الفي متر ، ويختلف هذا الارتفاع بحسب علو بعض الأماكن أو بحسب انخفاضها . فعند جبال الشفا يبلغ ارتفاعها عن سطح البحر حوالي ٢٥٠٠ متر ، وعند جبل قرنيت يبلغ ٢٥٣٠ متراً ، وعند جبل برد يبلغ حوالي ٢٣٠٠ متر ، وعند جبل قرى يبلغ ٢١١٥ متراً ، وفي الحوية يبلغ حوالي ١٨٠٠ متر . يحيط بها من الشرق جبل تنيضيب المطل على وادي نخب ومن الغرب جبل الغمير ، ومن الشمال جبل التمار ومن الجنوب جبل ام العراد .

وجبال الطائف هي جزء من جبال السراة التي يعتقد الجغرافيون انها تكونت من الصخور النارية المتبلورة والصخور المتحولة والصخور البركانية الاندفاعية والصلبة والتي لم تغطها رواسب البحار القديمة ، فقد كانت تكون جزيرة مرتفعة وسط هذه البحار فلم ينلها من رواسبها غير جزء يسير ، وفي مرتفعاتها الكثير من الانكسارات يقع بين ثناياها الكثير من الأودية التي تكونت نتيجة تقعرات في الطبقات الأرضية وهي الصفات البارزة على جبال الطائف .

وبالرغم من ارتفاع جبال منطقة الطائف فان الأودية فيها عديدة وفسيحة ، مثل وادي العرج ووادي غدير البنات وفيها العديد من السهول الخصبة مثل سهل رطبة الطويل العريض ، وحرته مثل حرة جيزان قرب سوق عكاظ



سعادة الأمير ناصر بن معمر ، أمير الطائف .

حاطةَ السّوارِ بالمِعْصَم، مَاؤُها عَذْبٌ، وَهَوَاؤُها لطيف،
هرتْ بتينِهَا وعنبِها ورمّانِها، تَهْفو اليْها النفوسُ المُتعطّشة
ملكة، تأتي في المرتبة الأولى من مَصَايف المملكة. وقد حَبَاها
وطَقسٍ لَطيفِ البُرُودَة، وأمطارٍ موسميّةٍ طوالَ العام تقريبًا
ليها الوزاراتُ وأجهزةُ الدّولـةِ خلالَ أشهرِ فصلِ الصّيف

وحزمه الصخري مثل حزم الحوية الذي يشتهر بزراعة الفاكهة على اختلاف انواعها .

أما الرياح السائدة في فصل الصيف فهي رياح غربية ، ورياح موسمية تهب من الجنوب الغربي للجزيرة محملة بالأمطار ، وتندفع منه الرياح شتاء تجاه الشواطيء الجنوبية . وتعتبر الطائف المرحلة النهائية التي تصل اليها الرياح الموسمية في اندفاعها شمالاً وغرباً . أما الأمطار في المنطقة فغير منتظمة السقوط بوجه عام فقد تقل في عام او تسقط بغزارة في العام الذي يليه ، كما ان اوقات سقوطها متباعدة ويبلغ متوسط سقوط الأمطار في منطقة الطائف حوالي ١٥٤ مليمتراً في العام .

تاريخ الطائف

تعددت الروايات عن تاريخ الطائف وتسميتها وعن القبائل التي عمرتها وبعض هذه الروايات أقرب إلى الخيال منه الى الحقيقة . ولكن رغم طرافة بعض هذه الروايات فانها تدل بدون شك على ما للطائف من تاريخ بعيد . ويذكر ياقوت الحموي في معجم البلدان : ان اسم الطائف القديم هو « وج » لأنها كانت تقوم في وادي وج وجل اهل الطائف ثقيف وحمير وقوم من قريش ، وهي على جبل غزوان وبغزوان قبائل هذيل . وذكر الأزرقي أبو الوليد عن الكلبي باسناده قال : لما دعا ابراهيم عليه السلام : « **فاجعل افئدة من الناس تهوي اليهم وارزقهم من الثمرات** » ، فاستجاب الله له فجعله مثابة ورزق اهله من الثمرات فنقل اليهم الطائف ، وكانت قرية بالشام ، وقد افتخرت ثقيف بذلك كثيراً .



المسجد الأثري الذي اقيم في بستان « عتبة وشيبة » حيث دعا الرسول عليه الصلاة والسلام ربه .



صخرة كبيرة بالقرب من سد « سيسد » نقش عليها اسم عبد الله بن معاوية باني السد والسنة التي بني فيها .



الحمضيات من الزراعات الناجحة في منطقة الطائف .

وقال ابن عباس : « سميت الطائف لأن ابراهيم ، عليه السلام لما أسكن ذريته مكة وسأل الله أن يرزق أهلها من الثمرات ، أمر الله عز وجل قطعة من الأرض ان تسير بشجرها حتى تستقر بمكان الطائف فأقبلت وطافت بالبيت ثم أقرها الله بمكان الطائف فسميت الطائف لطوافها بالبيت » .

وفي رواية أخرى ، لما اشتدت شوكة ثقيف وكثرت عمارة « وج » رمتهم العرب بالحسد وطمع فيهم من حولهم وغزوهم فاستغاثوا ببني عامر فلم يغيثوهم ، فأجمعوا على بناء حائط يكون حصناً لهم ، فكانت النساء تلبن اللبن والرجال يبنون الحائط حتى فرغوا منه وسموه الطائف لاطافته بهم وجعلوا لحائطهم بابين : احدهما لبني يسار والآخر لبني عوف . وسموا باب بني يسار صعباً وباب بني عوف ساحراً ، ثم جاءهم بنو عامر ليأخذوا ما تعودوه فمنعوهم عنه وجرت بينهم حرب انتصرت فيها ثقيف وتفردت بملك الطائف فضربتهم العرب مثلاً ، فقال ابو طالب ابن عبد المطلب .

منعنا ارضنا من كل حي
كما امتنعت بطائفها ثقيف
أتاهم معشر كي يسلبوهم
فحالت دون ذلكم السيوف

وهكذا لم تظفر القبائل العربية منهم بطائل فتركوهم على حالهم أعبط العرب عيشاً ، الى ان جاء الاسلام فغزاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم

تزدحم واجهات الحوانيت في سوق الصاغة بأطباق الزينة وغيرها .

فافتتحها في سنة تسع من الهجرة صلحاً وكتب لهم كتاباً .

أول من عرف بسكنى الطائف من الأمم البائدة على قول الاخباريين بنو مهلائيل بن قينان قبل الطوفان وهم الذين عمروها وغرسوها ، وقد سكنوها قبل الطوفان . فلما وقع الطوفان كانوا من جملة من هلك فيه من الأمم الباغية فخلت الطائف منهم . ثم سكنها بعد ذلك بنو عبد ضخم من العمالقة وهم بنو عبد بن ضخم ابن سام بن نوح عليه السلام ويعتقد انهم كانوا أول قبائل كتبوا بالخط العربي . ثم تعاقبت على سكنى الطائف عدة قبائل منها بنو هانيء بن هذلول من ثمود قبل سكناهم الحجر ومن هنا جاء القول بأن ثقيف يرجع أصلهم إلى ثمود . وقبيلة اياد من العدنانية وتنتهي إلى نسب عدنان إلى اسماعيل بن ابراهيم الخليل وقد أعقب ولدين هما معد والحارث . وقبيلة عدوان وينتسبون إلى جدهم عدوان بن عمر بن قيس عيلان بن مضرب بن نزار . ثم قبيلة بنو عامر ثم بنو ثقيف ولا يزالون فيها إلى الآن .

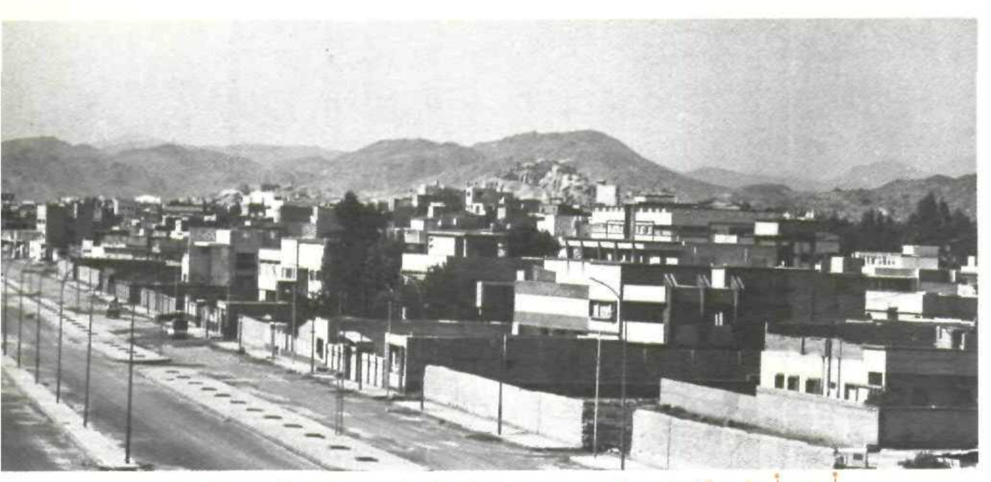
ان أول ما يلفت انتباه الزائر إلى الطائف وخاصة القادم اليها عن طريق مكة المكرمة ذلك الطريق الذي يعتبر من روائع العمل الهندسي الذي حققته المملكة في حقل المواصلات البرية التي تربط أجزاء المملكة بعضها ببعض . ويخترق هذا الطريق الجبال الشامخة عبر جسور ضخمة ، ويبلغ طوله حوالي ٨٩ كيلومتراً ، وعرضه ما بين ١٢ متراً و ١٤ متراً . ويمر طريق مكة الطائف فوق أكثر من مئة من الجسور والعبارات كما أحيط بجدار من الاسمنت المسلح بارتفاع أكثر من نصف متر من أجل سلامة السيارات . وقد بلغت تكاليف هذا الطريق حوالي ٢٠٠ مليون ريال .

الشؤون البلدية

تبذل بلدية الطائف جهوداً مكثفة كي تلبس الطائف الثوب اللائق بها كواحدة من أهم مدن الاصطياف في المملكة ، وهي من

مشهد اخر من معالم التطور العمراني في الطائف .

أجل ذلك تعاقدت مع العديد من الشركات لتنفيذ مجموعة من المشاريع الانشائية والعمرانية التي من شأنها أن تجعل من الطائف مصيفاً من أرقى منتجعات الاصطياف . وتقوم حالياً شركة « روبرت ماثيو » وهي بريطانية بعمل تخطيط عام لمدينة الطائف ودراسة الأماكن الأثرية في المدينة وكذلك الأماكن السكنية وتوزيع مناطق الاسكان . وتقوم شركة اخرى ايطالية بدراسات ترمي إلى تجميل المدينة على خمس مراحل ، وتم بالفعل دراسة المرحلة الأولى ، وسيتم التنفيذ خلال الأشهر القليلة القادمة . وتشمل المرحلة الأولى من مشروع التجميل شق ورصف وانارة اثني عشر شارعاً داخل المدينة وانشاء محطات للاوتوبيس ، ودورات للمياه واقامة حدائق عامة وتشجير الشوارع . أما المرحلة الثانية التي يجري التخطيط لها حالياً ، فتشمل انشاء طريق دائري خارج المدينة يضم عدداً من المحاور تربط الطائف بمدن المملكة الرئيسية كالرياض ، والمدينة المنورة ، وجدة ، ومكة المكرمة وذلك عبر طريق خارجي لا يدخل المدينة مباشرة ، وإنما يمر من أطرافها ويكون قريباً منها في آن واحد . وتقوم شركة سويدية تدعى « فياك » بدراسة لانشاء شبكة داخلية للمجاري السكنية وشبكة أخرى لتصريف مياه الأمطار والسيول وامكان الاستفادة من هذه المياه في بعض الأغراض المعينة . كما تشمل الدراسات الخاصة بتجميل المدينة ، واقامة المتنزهات العامة وانشاء مدينة ملاهي



أحد أحياء الطائف الجديدة ويقع في الضواحي خلف السور القديم .



احد شوارع الطائف يعج بالأبنية الحديثة .

جامع وادي المحرم ، وهي المنطقة التي يحرم منها القادمون إلى مكة المكرمة عن طريق الطائف بقصد الحج او العمرة .

للأطفال تجمع بين رحابها عدة العاب يهواها الصغار كالسيارات الكهربائية والقوارب المائية ، والدراجات والأراجيح ، وحديقه مصغرة للحيوان .

ومن ناحية أخرى ، يجري حالياً شق طريق جبلي معبد يصل الطائف بمنطقة الشفا ، وهي من أفضل المناطق السياحية في الطائف وأطيبها مناخاً . وينتظر الانتهاء منه في المستقبل القريب . وتعتبر منطقة الشفا التي تقع على بعد حوالي ٢٥ كيلومتراً من مدينة الطائف من أجمل مناطق الاصطياف ، فقد حباها الله بأرض طيبة معطاء وجو لطيف وطبيعة خلابة وتكثر فيها القرى المتناثرة على أطراف الوديان الخصبة . وتحيط بالمنطقة الجبال الشاهقة ، اذ يبلغ ارتفاعها أكثر من الفي متر عن سطح البحر . وتغطي هذه الجبال اشجار العرعر والأثل والسدر والطلح وغيرها من الأشجار البرية الباسقة ، كما تكسوها النباتات البرية التي تشكل غذاء رئيسياً للمواشي التي تكثر في المنطقة . هذا ويعتني سكان منطقة الشفاء بزراعة أشجار الفاكهة كالتين والعنب والرمان والسفرجل ، كما يزرعون مختلف أنواع الخضار كالبندورة والخيار والكوسا والباذنجان والفلفل الأخضر والباميا والقرع والفاصوليا وغيرها . وينتظر ان تصبح منطقة الشفا من أماكن الاصطياف المرموقة في المملكة وخاصة بعد أن شرع في شق طريق يصل إلى قمتها مما سيكون له الأثر الأكبر في تطوير المنطقة سياحياً وسكنياً .

أما منطقة الهدى فترتفع عن سطح البحر بحوالي ١٨٠٠ متر وتبعد عن الطائف حوالي ثمانية عشر كيلومتراً وتنتشر قراها على قمم الجبال وحول الوديان ، وهي تشتهر بطيب هوائها وخصوبة أوديتها ووفرة فاكهتها وخضارها المتنوعة . وتعتبر منطقة الهدى من مراكز الاصطياف في الطائف حيث يرتادها المصطافون الوافدون من مكة المكرمة وجدة وبقية مدن المملكة وبها الكثير من المباني والمقصورات السكنية التي يصار إلى تأجيرها في موسم الصيف للمصطافين .

يبلغ عدد سكان الطائف وضواحيها حوالي مائة الف نسمة ويبلغ عدد القرى المحيطة بها والتابعة لها أكثر من ١٢٠٠ قرية ، من بينها قرى بني مالك ، وبني سعد ، ومنهم مرضعة الرسول عليه السلام ، وبني الحارث ، وقرى ثقيف ، والغربية ، والغربية الجنوبية وتضم قرى بني طلحى وسفيان وثمال وسالمي ، وقرى الشرقية الشمالية .

تشهد الطائف كغيرها من مدن المملكة حركة عمرانية مزدهرة ، ففي أطرافها حيث كان يحيط بها السور القديم ، ترتفع المباني الحديثة الطراز ، تضمها عدة أحياء ذات طابع عصري جميل . ومن بين هذه الأحياء ، الشرقية ، واليمانية ، والبخارية ، والشهداء ، وقروة ، وشبرا ، وشهار ، والسداد ، والعقيق ، والعزيزية ، ومثناه ، والخالدية ، ومعشي ،



احدى عرائش الكرمة في مزرعة بالطائف وقد

تشهد الطائف حركة عمرانية مزدهرة تتسم بالطابع الحديث .



تدلت منها عناقيد العنب .

والفيصلية ، والقمرية . وفي المنطقة التجارية من المدينة ترتفع العمارات الشاهقة المتميزة باسلوبها الحديث . هذا ولا تزال في أحياء مدينة الطائف أبنية قديمة الطراز تزينها الرواشن الخشبية المزدانة بالزخارف والنقوش التي تعكس جانباً من سمات فن البناء العربي القديم .

وفي مجال التعليم ، حلت المدارس الحديثة محل الكتاتيب القديمة التي أسسها كل من الشيخ عبد الرحمن مغربي والشيخ عبد الرحمن بن ظفران والشيخ عبدالله سندي والشيخ حسن منصوري والشيخ محمد سنارى والفقيهة زهرا بنت ريما المغربية ، والسيدة حسنية حريب . وتعتبر المدرسة السعودية التي تأسست عام ١٣٤٥هـ من أقدم مدارس الطائف وهي امتداد للمدرسة الرشيدية في العهد التركي .

وتحتضن الطائف وضواحيها اليوم ١٩١ مدرسة تضم ١٦١٦ فصلاً يدرس فيها ٢٥٣٤٣ طالباً ، منها ١٦٦ مدرسة ابتدائية وتضم ١٦٩٣٢ طالباً ، و ٢٠ مدرسة متوسطة وتضم ٥٤٨٦ طالباً ، وثلاث مدارس ثانوية وتضم ١٨٣٨ طالباً ، ومعهدان علميان ويضمان ١٠٨٧ طالباً . ويقوم بالتدريس في هذه المدارس ١٩٧٠ مدرساً منهم ١١٤٧ سعودياً . ويشرف على ادارة هذه المدارس هيئة ادارية مكونة من ٣١٨ ادارياً . وتسهم هذه المدارس المنتشرة في الطائف والمناطق التابعة لها في ارساء دعائم العلم والمعرفة وتثقيف الناشئة واعدادهم للقيام بمسؤولياتهم تجاه بلدهم وامتهم والمشاركة في دعم النهضة الشاملة في مختلف المجالات . وتقضي الخطة الخمسية الحالية لوزارة المعارف بانشاء ٨٠ مدرسة ابتدائية جديدة تضم ٤٤٠ فصلاً وتستوعب ١٣٢٠٠ طالب ، وعشر مدارس متوسطة تضم ٩٠ فصلاً وتستوعب ٢٧٠٠ طالب ، ومدرستين ثانويتين تضمان ٣٥ فصلاً وتستوعب ١٠٥٠ طالباً ، ويقدر عدد الاساتذة الذين سيقومون بالتدريس في هذه المدارس حوالي ٧٠٧ مدرسين .

وهناك مدارس خاصة تابعة لوزارة المعارف من ناحية الاشراف الفني عليها وتقديم المعونات اللازمة لها ، بالاضافة إلى مدارس ليلية ابتدائية ومتوسطة ، وأخرى لمحو الأمية تقوم باعداد طلابها لمتابعة دراساتهم في المدارس الابتدائية .

وفي مجال تعليم الاناث ، أنشأت الرئاسة العامة لتعليم البنات ٧٣ مدرسة ابتدائية في الطائف والمناطق التابعة لها يدرس فيها ١٨١٠٥ طالبات وست مدارس متوسطة تضم ٢٢٣٧ طالبة ، بالاضافة إلى مدرسة ثانوية تضم ٦٠٥ طالبات ، ومعهد للمعلمات يضم ٢٤٤ طالبة. وبموجب الخطة الخمسية الحالية تزمع الرئاسة العامة لتعليم البنات انشاء حوالي ١٧ مدرسة ابتدائية جديدة ، اثنتان في مدينة الطائف و ١٥ مدرسة في المناطق التابعة لها ، ومعهد للمعلمات في منطقة الباحة ، ومتوسطة في بالخرمة ، وأخرى في برنيه ، بالاضافة إلى



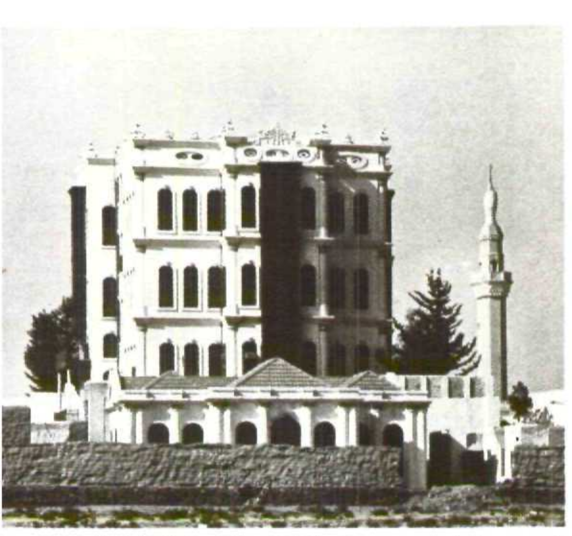
دردشة عابرة عن تاريخ الطائف بين مندوب القافلة والأستاذ محمد سعيد كمال أحد أدباء الطائف وصاحب مكتبة عامرة بالمجلدات القيمة .



سد « سَيْسَد » الأثري الذي بناه عبدالله بن معاوية سنة ٥٨ هـ وما زال هذا السد يحتجز كميات من المياه .



أحد حقول الكرمة في مزرعة التجارب التابعة لمديرية الشؤون الزراعية في الطائف .



قصر « شبرا » من معالم الطائف التاريخية البارزة .

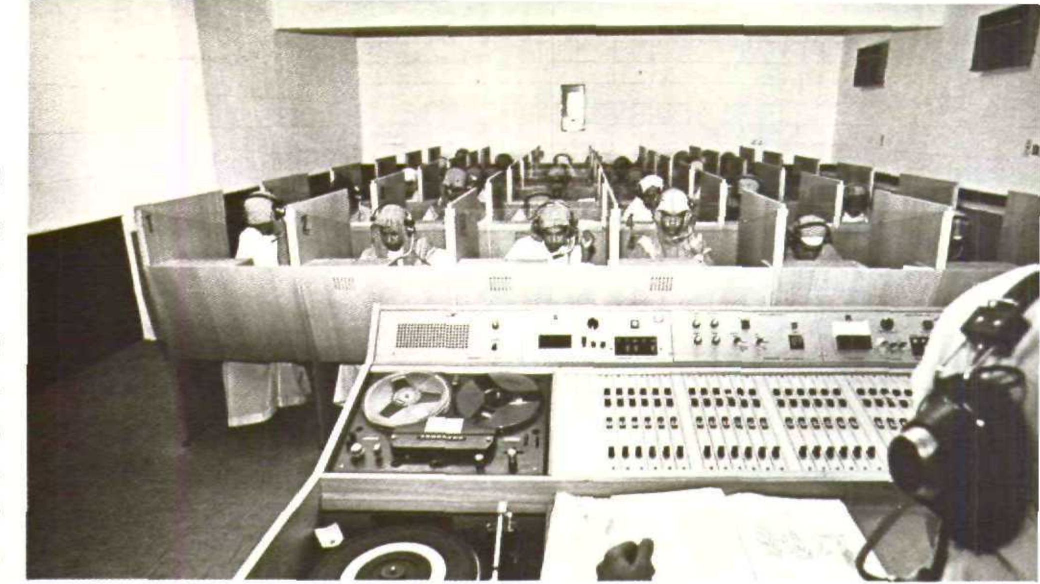
انشاء مدارس ابتدائية في كل من بالحرمة ، والباحة وبالجرشي . ويقوم بالتدريس في هذه المدارس حوالي ٨٥٦ مدرسة .

وهناك جمعية اليقظة النسائية التي انشئت قبل عدة سنوات في الطائف برعاية السيدة خديجه الدباغ وقد كانت هذه الجمعية مصدر اشعاع بالنسبة لسيدات المجتمع في الطائف حيث استطاعت الجمعية من خلال برامجها الدراسية ان تسهم في محو الأمية بين السيدات . ولدى الجمعية الآن دار حضانة وروضة أطفال ، ولا يقتصر نشاطها على الحقل الثقافي فقط ، بل يتعدى ذلك إلى مجالات أخرى كالتدبير المنزلي والخياطة وغير ذلك من الأمور التي ترتبط بطبيعة حياة المرأة .

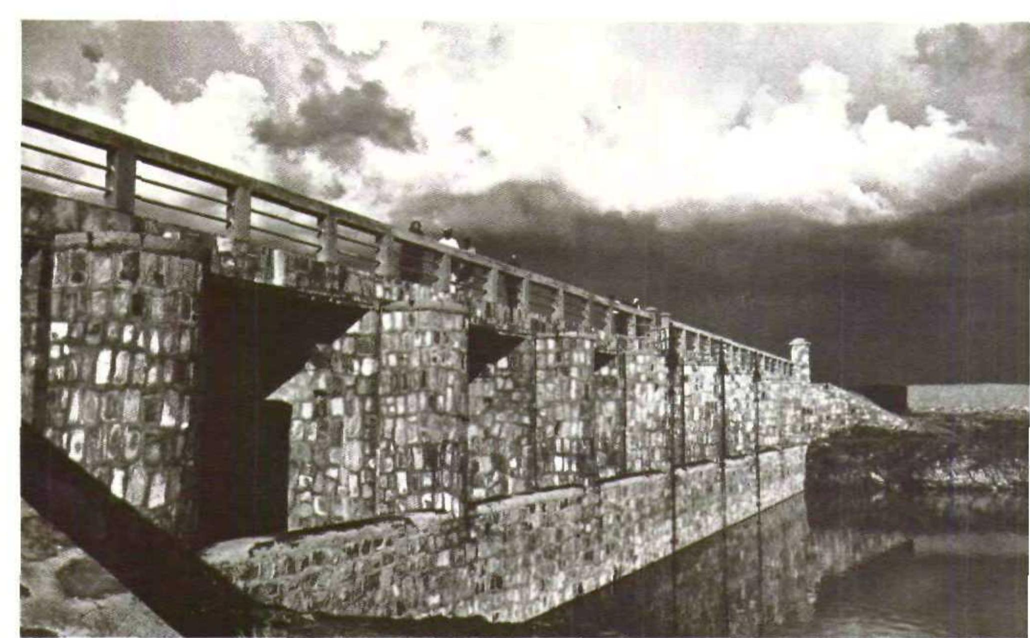
وفي المجال الزراعي تقدم مديرية الشؤون الزراعية بالطائف المساعدات والنصح والارشاد للمزارعين في كافة الحقول الزراعية ، وتبلغ حدود المنطقة التي تشرف عليها المديرية حوالي ٦٠٠ كيلومتر مربع ، تمتد الى الشرق حتى وادي بوا ، والى الغرب حتى منطقة الهدا ، والى الشمال حتى المويه والفريع والمحاني ، والى الجنوب حتى منطقة الشفا الجبلية . وهي تنقسم إلى عدة مناطق زراعية هي : منطقة الفريع والمحاني والمويه ، وتشتهر بزراعة النخيل والخضروات ، غير ان الزراعة في هذه المنطقة حديثة العهد ، اذ تبلغ المساحة المزروعة فيها حوالي الفي دونم وبها من النخيل ما يقارب ستة الاف نخله . ثم منطقة بني سعد ، وتبلغ مساحة المنطقة المزروعة فيها حوالي عشرين الف دونم وعدد أشجار الفاكهة فيها حوالي سبعة الاف شجرة . ومنطقة بالحارث وفيها حوالي ٢٠ الف شجرة فاكهة بالاضافة الى بعض أصناف الخضراوات . ومنطقة ثقيف وتبلغ المساحة المزروعة فيها بالخضار والفاكهة ١٢ الف دونم ، وبها حوالي ستة الاف شجرة فاكهة . ومنطقة بني مالك وتبلغ المساحة المزروعة فيها حوالي ٦٠ الف دونم وعدد أشجار الفاكهة فيها تبلغ حوالي ستة الاف شجرة .

أما الطائف وضواحيها فتزيد الرقعة الزراعية فيها على ٣٥ الف دونم تضم مختلف أنواع أشجار الفاكهة والخضار والحمضيات كالبرتقال والليمون .

لقد عرفت الطائف منذ فجر الاسلام بثمارها حتى ان اصنافاً معينة من الفاكهة أصبحت تذكر مقرونة بها ، فيقال مثلاً عنب طائفي



معمل اللغة الانكليزية في المدرسة الثانوية بالطائف .



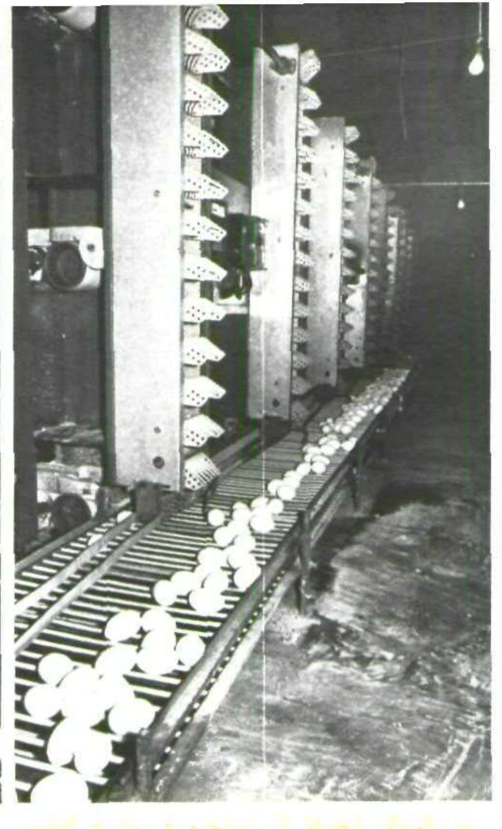
سد « وادي عكرمة » الذي أنشأته وزارة الزراعة والمياه عام ١٣٧٥هـ ويحتجز حوالي مليون متر مكعب من مياه الأمطار تساعد في تغذية العديد من الآبار في المنطقة ورفع منسوب المياه فيها .



اخصائي في تربية النحل يتفقد خلية للنحل في المشتل التابع لمديرية الشؤون الزراعية بالطائف .



مسجد عبدالله بن العباس بوسط قلب مدينة الطائف .





ورمان طائفي . وبالاضافة إلى العنب والرمان اشتهرت الطائف وما تزال بانتاج التفاح البلدي ، والخوخ ، والمشمش ، والبرقوق ، والعناب ، والتين (الحماضي) والكمثرى ، واللوز ، والتين الشوكي (البرشومي) وبعض أنواع الحمضيات ، كما اشتهرت بزراعة العديد من أنواع الخضار .

ومن المشاريع الحيوية التي تبنتها المديرية العامة للشؤون الزراعية هذا العام مشروع زراعة القمح . وقد تطلب هذا المشروع انشاء ١٨ حقلاً ارشادياً نموذجياً لزراعة القمح وتحسين الأصناف الموجودة حالياً واجراء التجارب العلمية اللازمة لاستنباط أنواع جديدة منه تكون أكثر ملاءمة للمنطقة ، وقد تم توزيع حوالي ٢١ طناً من تقاوى قمح المكسيباك على حوالي خمسمائة مزارع .

ولعل وجود الآبار في معظم أودية المنطقة كان من العوامل التي ساعدت على انتشار الزراعة فيها . وتعتمد هذه الآبار في رفع منسوبها على مياه الأمطار ومن أجل ذلك قامت مديرية الشؤون الزراعية باجراء الدراسات اللازمة لانشاء المزيد من السدود في أودية المريفق ، وميسان ، والمحرم والذيبة ، وشباشبة ، وصعب ، وليه وغيرها من المناطق لاحتجاز أكبر كمية من الأمطار للاستفادة منها في شؤون الزراعة وتغذية الآبار الموجودة في هذه المناطق .

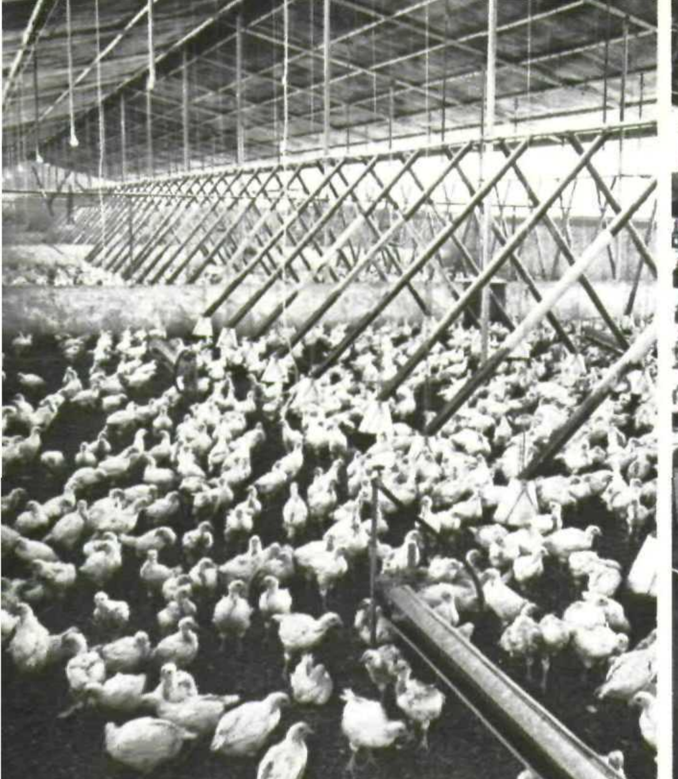
وفي منطقة الطائف عدد من السدود الأثرية القديمة منها سد «ثمالة» الذي بناه عمرو بن العاص ، وسد «سيسد» الذي بناه عبدالله بن معاوية عام ٥٨هـ . وتوجد بقرب هذا السد صخرة ضخمة تحمل اسم باني السد وتاريخ بنائه . وفي القرن السابع الهجري بني سد «ثلبة» . وهناك سد الرحاب الذي لم يعرف تاريخ بنائه ، وسد جباجب وسد الشفا وسد أبو الغصين . بيد أن هذه السدود كلها غدت أثرية وتضاءلت قيمتها لقدمها فحل محلها سد عكرمة الذي أنشأته وزارة الزراعة والمياه عام ١٣٧٥ لتغذية عيون الطائف وآبارها بالماء ولري المساحات الشاسعة من الأراضي المزروعة في المنطقة .

وفي الطائف عدد من عيون الماء منها عين شبرا وعين الوهط وعين الوهيط وعين الجال وعين قملة وعين الاخيضر وعين فوليه بوادي ليه . ومن هذه العيون تتزود الطائف بما تحتاج اليه من مياه الشرب العذبة .

كما تشتهر الطائف بأنها تحتضن أكبر مزارع للدجاج في المملكة وأحدثها ، وأشهر هذه المزارع على الاطلاق مزارع الشيخ عبد الرحمن فقيه التي أنشئت قبل أكثر من عشر سنوات وذلك عندما أنشأ أول مزرعة له في مكة المكرمة ، ثم وجه نشاطه إلى الطائف وذلك لارتفاعها عن سطح البحر وطيب



متجر خاص يبيع أدوات القهوة العربية والمباخر والأباريق والأجران النحاسية وغيرها



مزرعة حديثة لتربية الدواجن في مشارف الطائف ، وهي واحدة من عشر مزارع مماثلة يملكها الشيخ عبد الرحمن فقيه ، وتنتج حوالي ١١ مليون صوص في العام .



متجر أنيق لبيع مختلف أنواع العطور والطيوب الفاخرة .

مناخها واعتدال جوها خلال العام ، فأنشأ فيها عشر مزارع حديثة لتربية الصيصان ، واربعاً أخرى لانتاج البيض للتفقيس ، بالاضافة إلى مزرعتين اخريين ، احداهما على وشك الانتهاء والأخرى يجري التخطيط لانشائها . وإلى جانب هذا العدد من المزارع ، يمتلك الشيخ عبد الرحمن فقيه فراختين للتفقيس . ومن الجدير بالذكر أن هذه المزارع تزود اسواق المنطقة الغربية من المملكة العربية السعودية بحوالي احد عشر مليون صوص في العام . ويتوقع ان يرتفع هذا العدد بعد الانتهاء من مشاريع التوسعة التي يجري دراستها حالياً وتنفيذ جزء منها إلى خمسة عشر مليون صوص في العام ، كما تزود الأسواق بحوالي عشرين مليون بيضه في العام وينتظر ان يرتفع هذا العدد في المستقبل إلى ستين مليون بيضة في العام . كما يوجد ضمن هذه المزارع مصنع للأعلاف اللازمة لهذه الأعداد الهائلة من الصيصان والدجاج . ويعمل في هذه المزارع النموذجية فريق من الخبراء والفنيين المتخصصين في تربية الدواجن .

وفي المجال الصحي ، تسير الطائف جنباً إلى جنب مع سائر شقيقاتها من مدن المملكة من حيث توفير الخدمات الصحية للمواطنين . . وتحتضن الطائف عدة مستشفيات ابرزها مستشفى الملك فيصل الذي يتسع لحوالي خمسمائة سرير ، وهو مجهز بمعدات وأجهزة طبية حديثة . ومستشفى الأمراض الصدرية (مصح السداد) الذي يكاد أن يكون الوحيد من نوعه في المملكة ، وهو يتسع لحوالي ٨٠٠ سرير . ومستشفى الأمراض العصبية والنفسية ويضم نحو الف ومائتي سرير . وهناك أيضاً المستشفى العسكري ويضم نحو ثلاثمائة وخمسين سريراً ، هذا بالاضافة إلى عدد من المستوصفات والعيادات الطبية الخاصة .

المجال الفكري

أنجبت الطائف عدداً من فحول الأدباء والشعراء أمثال امية بن ابي الصلت ، وابي محجن الثقفي الشاعر الفارس الذي خاض معركة القادسية على فرس سعد بن ابي وقاص ورجح كفة المسلمين فيها ، وهو شاعر مخضرم .

ومن رواد الشعر الذين احتضنتهم أرض الطائف وحلقوا في أجواء الشعر يزيد بن الحكم ، وطريح الثقفي ، وغيلان الثقفي ، ومحمد النميري ، ويزيد بن صنبه ، وكنانة بن عبد ياليل ، وابن مناذر ، ومحبوبة ، وابو العباس ويوسف بن الحجاج الصقيل ، وابن بانه العرجي وغيرهم .

ومن معالم الآثار الأدبية في منطقة الطائف سوق عكاظ على مقربة من المدينة ، فقد كانت



بعض آلات الطباعة في مطبعة الزايدي بالطائف

تلك السوق مجمعاً عربياً ثقافياً يلتقي فيه فحول الشعراء والخطباء العرب في مسابقات حولية .

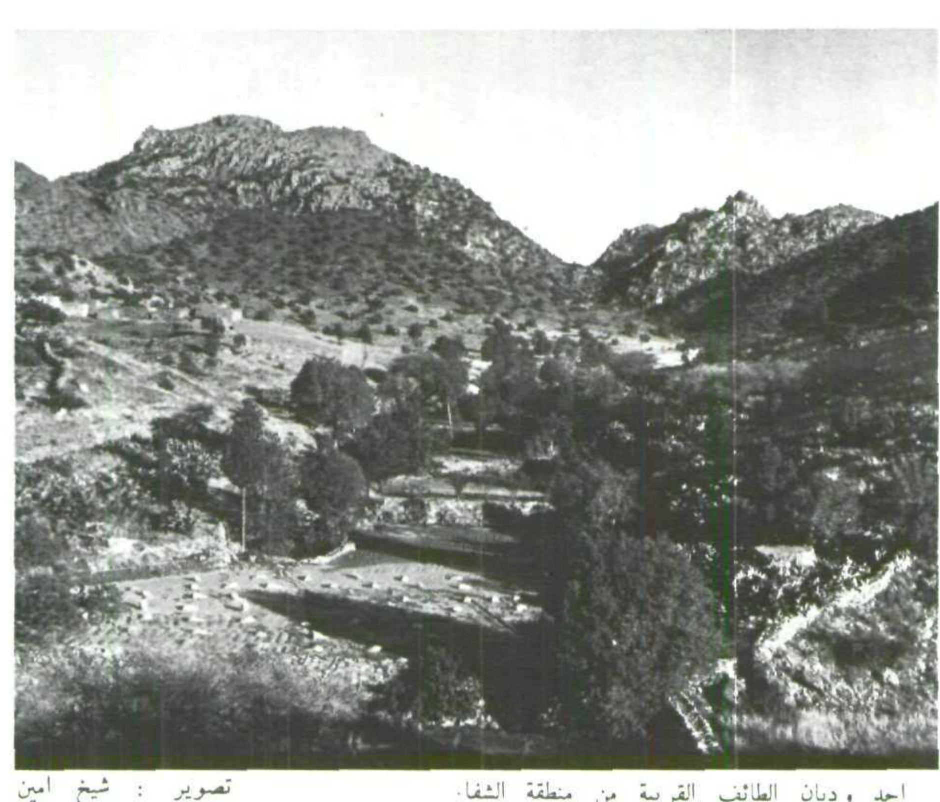
ومن أشهر الخطباء الأقدمين الذين عرفوا بترددهم على سوق عكاظ قس بن ساعدة الذي شهده الرسول عليه الصلاة والسلام خطيباً مصقعاً فأعجبته حلاوة كلماته وطلاوتها ، حتى إذا أقبل عليه وفد اياد سألهم خبر قس بن ساعده ، فقالوا مات يا رسول الله . فقال : « كأني أنظر اليه بسوق عكاظ على جمل له أورق وهو يتكلم بكلام عليه حلاوة وما أجدني احفظه » ، فلما قام احدهم وتلاه بين يديه ، قال الرسول عليه الصلاة والسلام : « يرحم الله قساً ، اني لأرجو أن يبعث يوم القيامة أمة واحدة » .

ومن رواد سوق عكاظ المشهورين الخنساء الشاعرة العربية الرثاءة التي ظلت تغشى سوق عكاظ كل عام تندب أباها وأخويها ، قالت ترثي صخراً :

يا عين مـا بالك لا تبكين تسكابا
اذا راب دهـر وكان الدهـر ريابا
فابكـي أخـاك لايتام وارملـة
وابكـي أخـاك اذا جاورت اجنابا
وابكي اخـاك لخيل كالقطـا عصب
فقـدن لما ثـوى شيباً وانهابـا

ولعل وجود سوق عكاظ على مقربة من الطائف قد أكسب هذه المدينة صبغة أدبية وشعرية ونمى في أبنائها ملكة الشعر فكان منهم في الماضي العديد من الشعراء كما ذكرنا سابقاً . كما ظهر في العصر الحاضر العديد من الشعراء والأدباء والقصاصين أمثال ابراهيم الزيد وحمد الزيد وعلي العبادي وعبدالله سعيد جمعان ومحمد سعيد كمال ومحمد عبد الرحيم الصديقي وسعد الثوعي الغامدي وعلي الفيفي ومحمد منصور الشقحا وغيرهم ممن لهم انتاج أدبي منشور ومخطوط .

المنتديات الفكرية في الطائف النادي الأدبي الذي افتتح موءخراً . ومن أهداف هذا النادي تنشيط الحركة الثقافية والأدبية في منطقة الطائف واحياء تراثها الأدبي ، واتاحة الفرصة أمام الأدباء المحدثين في الطائف لنشر انتاجهم . وكذلك اصدار مجلة ثقافية فكرية شهرية ، وتقديم جوائز تشجيعية بالنسبة للانتاج الأدبي في مجال القصة والشعر وتكوين صندوق لأدباء الطائف يساهم في نشر انتاجهم وايجاد تضامن معنوي بينهم وبين رصفائهم ممن شاركوا في حمل مشاعل الأدب والفكر وذلك عن طريق الاشتراك في المهرجانات والمحافل الأدبية داخل المملكة وخارجها . وسيكون هذا النادي باذن الله ، كما قال سكرتيره الأستاذ الشاعر حمد الزيد ، النواة لاحياء تراث الطائف الشعري والأدبي ، والمساهمة في اتاحة الفرصة للجيل الجديد من الشعراء كي يواصلوا السير على الدرب الذي سلكه من قبلهم شعراء الطائف الذين كان لهم شأن كبير في اثراء الشعر القديم .



احد وديان الطائف القريبة من منطقة الشفا. تصوير : شيخ امين

وابن الطائف مثابر على عمله جاد في تحصيل قوته وقوت عياله . فهو في الحقل يقطف الثمار او يحرث الأرض الطيبة او يزرعها ، وهو في متجره يعرض بضاعته . وهو شغوف بالعلم تراه مكباً على دراسته في المدرسة . وشراب ابن الطائف المفضل الشاي وهو يتفنن في اعداده . فهو اخضر واحمر واصفر وهو مطيب بالورد ، أو النعناع ، أو الدوش ، او العطرة ، او اللويزة لتكسبه نكهة لذيذة محببة ، أما مائدته فهي في العادة حافلة بما لذ وطاب من الاكلات العربية المعروفة وأشهرها السليق ، والمبشور ، والندى ، والملة .

في الطائف يشعر الغريب أنه بين أهله وذويه ، فهو يحل على الرحب والسعة أينما سار واينما اتجه ، والناس هناك اسخياء بطبيعتهم كرماء في أخلاقهم يهرعون للمساعدة وتقديم العون بمجرد أن يلمحوا منك أية بادرة تشير إلى حاجتك ، كما ان الغريب في الطائف يظل منشدهاً إلى الأشياء من حوله ، قصر شبرا الجميل النسق والبناء ، مسجد عبدالله بن العباس ، السوق القديم بأزقته وما يحتويه من الحاجات المنزليه الضرورية ، سوق الخضار ، سوق القماش ، سوق الصاغة ، مدينة فيصل العلمية التي تضم اربع مدارس ، المستشفيات ، عشرات المقاهي التي تنتظم على طول الشوارع ، الحدائق المنسقة ، والشوارع التي تشع بالأنوار أثناء الليل ، والهواء العليل ، والغيوم التي تظلل المدينة فترات طويلة من النهار فتحد من حرارة أشعة الشمس .

تلك هي الطائف عروس مصايف المملكة تعج بالحـركة والنشاط صيفاً ، وتركن للهدوء والدعة شتاء ، وهي تشهد الآن ازدهاراً عمرانياً ، وتلبس في كل عام ثوباً جديداً يزيدها رونقاً وجمالاً مما يوءهلها لأن تكون بحق من أرقى منتجعات الاصطياف في المملكة بل وفي العالم العربي لأنها تملك كل المقومات التي توءهلها لذلك ، ففيها الماء العذب ، والخضر اليانعة ، والطبيعة الفاتنة بجبالها الشامخة ووديانها الغائرة ، وارضها المعطاء ، ببساتينها وكرومها وحقولها وغاباتها والآثار التاريخية الخالدة فيها ●

يعقوب سلام – هيئة التحرير

من وحي الطائف

للشاعر : أحمد سرّاج



يا طائر اليُمن حلّق في روابيها ... وانثُر أغاريدك النّشْوى تناجيها

وردّد اللحن عذباً في مسامعها ... واسكبْ حديثَ الهوى في ظل واديها

نسائمُ الطائفِ الفيحاء مقبلةٌ ... تُهدي النفوس بهاءً من مغانيها

وتملأ القلبَ من فيضِ الجمالِ هُدىً ... تسمو به الروح تنزيها لباريها

من فوق صرح « الهدى » مرت نسائمُها ... تعطّرت بأريج البيتِ راعيها

أرضُ المفاخرِ والأمجاد إن لها ... في صفحة المجدِ تاريخاً جرى فيها

بستانُ « عدّاسَ » قد طاف النبيّ به ... فباركَ اللهُ بستاناً بواديها

ولابن عباسَ صرحٌ شامخٌ رفعتْ ... فيه المآذنُ للرحمن تنزيها

وللبلاغةِ أسواقٌ مجلجلةٌ ... ومن « عكاظٍ » .. بها التاريخُ يرويها

يا طائفَ اليُمن والإقبال إن لها ... لدى القلوبِ هوىً تشْدو تناجيها

ترجو الإله لها في كل بارقةٍ ... غيثاً كريماً وإغداقاً لواديها

إن الإله سيرعى غيثَها أبداً ... فيضاً جواداً ومعواناً لمن فيها

قد بارك اللهُ أرضاً خيرُها مددٌ ... لأهل (مكة) بالخيرات تُهديها

احمد سراج – الطائف

قصة

العقدة

بقلم: الأستاذ فاضل السباعي[1]

أن ما كنت أتصوره ، يا صديقي ، أن ينعقد الحب بين قلبين في ساعة صفاء ، ووئام ، ولهو بريء ، وأما أن ينبثق في القلب في ... ساعة غضب ، فذلك ما لم يكن ليخطر لي على بال ! على أنني ، ما بين قبولي ذلك ورفضي اياه ، وجدتني وقد انحلّت عقدتي ، عقدتي المستعصية التي ارّقني أمرها منذ فكرت بالزواج في أعقاب تخرّجي من الجامعة واتخاذي التدريس مهنة لي . !

كم كنت سخيفاً ، يا صديقي ، عندما « اشترطت » في زوجة المستقبل أن تكون مستجمعة كذا وكذا من الصفات ، لا تنقص منها صفة أو تختل أخرى ، فكأن وجهها وقسماته — كما أريدها — قد خطّت بمسطرة رسام ، أو نحتت بازميل مثّال ، دون أن أفطن إلى ما ينبغي أن تتحلّى به من السجايا النفسية الرفيعة ... صفات ، رحت تعيبها عليّ اذ سميّتها لي « المواصفات » ! فكأنني ، كما صرت تسخر مني في آخر الزمان : « تجدّ بحثاً في طلب سلعة ، أو أثاث ، أو ... مبنى ! » والحق ، ان كان حسن للرجل أن يطمح إلى أن تكون شريكة العمر رائعة الجمال ، فان « مواصفاتي » كانت في درجة من الغلو والتعقيد ، تجعل من شريكة العمر المأمولة أنثى نادرة المثال ، أو لم لا أقول : مستحيلة الوجود ، كما ثبت لي — ولك أنت — على مدى عامين اثنين ، بحثت خلالهما ، وبحث أهلي ، وبحثت أنت (ثم انضمّت اليك زوجتك من نحو عام) ، وبحث الخلاّن الأوفياء ، حتى أعياني وأعياكم البحث والتقصّي !

وانه ليطربني أن أذكر كيف أن بعضهم كان يقول لي ، في لهجة هي بين النصح الحكيم والتهكم اللاذع ، كلما عدت من جولة لهثت فيها وراء مطلبي دون جدوى :

— ان عقدتك كفيلة بأن تحلّ ، متى قدّر لك أن تستهويك فتاة ، فتحبّها وتحبّك ، وتحسب أن بين يديها سعادة العمر كله !

فكنت أردّ على القائل ، باللهجة ذاتها :

— ولكن ... كيف . بالك ، تستهويني من لا تستجمع « مواصفاتي » يا عزيزي ؟ !

وبعد ، يا صديقي .

ان لديّ كثيراً مما تودّ نفسي أن تفضي به اليك ، أن تعترف ، أن تعتذر .. فهل أنت سامعي ؟ هل أنت قارئي بما عهدت فيك من الصبر والاناة ؟ ! ...

تركتني ، يا صاحبي ، في اليوم التالي لفراغنا من امتحانات الثانوي ، وما لبثت حتى أخذت ، أنت وزوجتك ، السيارة تطوي بك السهل والجبل ، إلى بلدتك الجميلة العالية ، التي اتخذ منها الناس مصيفاً ! ووجدتني — بعد أن غادرتني — منقاداً الى العمل في امتحانات أخرى ، هي امتحانات الجامعة ، جامعتنا التي بلغ عدد طلابها بضع عشرات من الألوف — لعلها اربعون — فامتحاناتها تحتاج إلى مئات من المراقبين .

واختبروا صديقك ، أيها العزيز ، في « مقابلة » صغيرة ، فوجدوه — لحسن حظه — جديراً بأن « يصنّف » في عداد « رؤساء القاعات » ! وهكذا رحت أعير مهام عملي الجديد التفاتاً كبيراً ، وقد طمحت (بيني وبينك !) الى أن ألتقي بـ « مثالي » الفتّان — لعل وعسى — بين من سيكتب لي أن أصادفهنّ من الطالبات ، في أثناء تردّدي على كليات الجامعة ، خلال البضعة والعشرين يوماً ، حيث ألبث ، في كل قاعة ، ثلاث ساعات متواليات ، وأنا أتنقّل بين صفوف الطلاب مراقباً ملاحظاً !

ولأعترف لك ، يا صديقي ، بأني أحببت عملي هذا ، المؤقت ، حباً جماً . فقد كان مجالاً طيباً لأن أمارس فيه ما أعشق من الضبط والنظام (وربما ، بمعنى آخر : حبّي ، وحبّ كل امرىء ، لأن « يترأس » !) فضلا عن ممارستي هوايتي للمرح ، على ما تعرف في صديق شبابك ! وهل أخفي عنك خبر تلك المشاعر التي استثارتها في نفسي عودتي إلى قاعات الكلية التي تخرّجنا منها أنا وأنت ؟ أخذت أهتف في ذات نفسي ، وأنا ألاحظ الطلاب : في هذه القاعة ، في ذلك الركن منها ، قدّمت مادة كذا في عام من الأعوام ، فوفّقت أحسن التوفيق ! وهناك أيضاً قدمت مادة كذا ، فلم يحالفني الحظ فحملتها إلى الدورة التالية ! يا للأعوام ، كيف تتحطم على شاطىء الزمان !

ولأبيّن لك ، من ناحية أخرى ، أني لم أكن ، في المراقبة ، بالفظ القاسي ، لا ولا كنت المتساهل المغمض العينين ! كنت حازماً ورحيماً في آن معاً ، ولو أنني كنت إلى المرحمة أقرب ! وهل أنسى ما قبل عامين سبقا ، يوم كنت وكنت طالبي جامعة ، نسهر ونكدّ في استذكار الدروس ، وما كان يعترينا من مخاوف الامتحان ؟ ... والآن ، غدوت « رئيس قاعة » : فالحزم والانضباط واجبان ، ولكن للمرحمة مكانها ، أيضاً ، في القلب العطوف الشفوق !

على أن ثمة ما أغاظني من زملائي المراقبين فقد كان يحلو لبعضهم الصراخ والزمجرة والضرب ، بالكفّ أو بوسيلة أخرى ، على المقاعد الخشبية :

— كل طالب في مكانه ! .. دعوا الكتب بعيدة عنكم ! .. الامتحان يوشك أن يبدأ .. ! سكوت ! ...

مشيعين بذلك ضوضاء لا مبرر لها . وقد يظل أحدهم يزمجر ، وهو يخبط بيده حتى بعد أن يعم هدوء ، اذا ما لمحت عينه هناك لفتة صغيرة أو تلقّطت أذنه نأمة من صوت ! فكنت أدنو من هذا المراقب المزمجر الصخّاب ، وأنصحه بأن يكفّ عما هو فيه ، فلا يبحّ صوته أو يوجع راحة يده ، فان الصمت سيرين على القاعة ولا ريب ، متى بدأنا بتوزيع أوراق الاجابة البيضاء على الطلاب . وقد أزيد ، إلى ذلك بعض النصائح الأخرى ... وههنا ، كنت لا أعدم أن يبرز لي ، أحياناً ، أحدهم « ممن يحملون السلّم بالعرض » ، فيخاطبني وهو لا يقوى على اخفاء امتعاضه :

— عفواً ، أستاذ ! أتريدنا أن نكفّ عن العمل ؟ ! (او يقول آخر) ولكن هذه ليست أول مرة نعمل فيها مراقبين ! !

أجل يا صديقي ، أني في الوقت الذي كبحت نزوع بعضهم إلى ممارسة « ازعاج » الطلاب والتضييق عليهم ، سمحت لنفسي أن اضفي ، على كل قاعة أدخلها ، جواً من الالفة والبهجة والمرح ، فأنا أسأل بلطف لاذع ، طالبين ما يزالان يتحادثان ، بينما أنا فوق المنبر اهمّ بفتح مغلّف الأسئلة :



هل تكفّان عن الحديث ، فتسمحا لنا بأن نبدأ الامتحان ؟ !

فيصمتان في استحياء .

حتى اذا وزّعت الأوراق فانصرف الطلاب كل إلى شأنه ، وخيّم الهدوء ، صادفتني طرائف ، ورأت عيني ما هو جدير بأن يذكر .

ومن المفارقات أن أرى طالباً يجلس مكتّف الذراعين مكتئباً ، فلما أدنو منه أجد ورقته ناصعة البياض ، وأقرأ فيها اسمه : « سعيد سعيد » ! فأدرك كم هو الاسم على غير مسمى !

كانت القاعة ، في ذلك الصباح ، غاصّة بطلابها الذين زاد عددهم على كل ما توقعته ادارة الكلية من حضور ، مما اضطرنا إلى أن نجعل ، في عدد غير قليل من المقاعد (وهي طويلة مزدوجة على كل حال) ، طالبين في المقعد لا طالباً واحداً . ولقد صبرت ، وصبر المراقبون معي ، دقائق ريثما استتبّ النظام وركن كل في مقعد ، فقمنا بتوزيع أوراق الاجابة من « مبيضات » و « مسودات » .

ولم يكن اكتظاظ القاعة يعيقني عن تأمين الهدوء فيها ، لا ولا كان لاخفاقي في العثور على فتاة الأحلام بين ارتال الطالبات اللواتي يتعاقبن عليّ يوماً بعد يوم ، ليقعدني عن أن أمارس هوايتي المفضّلة ، المرح !

أجل ، اني ان كنت قد نبّهت المراقبين زملائي ، برقيق اللفظ ، إلى أن يمتنعوا عن نقل الطالب « المحاول » من مقعده الا بعد اعلامي وبعد أن يلفت نظره مرة ثم مرة ، وأن يتركوا اوراق الاجابة — لدى انتهاء فترة الامتحان — في أيدي الطلاب إلى حين ، فلا يسحبوها من الطالب قسراً ، بل يمنحوه الفرصة لأن يسلّمها طائعاً ، ولو تأخر في ذلك دقائق قليلات لا يضيرنا الصبر فيها بقدر ما ينفعه هو الانتظار . . . ان كنت قد فعلت ذلك ، فاني لم أستطع ، وأنا أرى إلى طالبة شقراء زرقاء العينين ، نحيلة ، طويلة ، تكتب اسمها في زاوية ورقتها بخطّ رقيق : « هيفاء سويد » ، لم استطع أن أمسك سؤالاً مازحاً وثب إلى لساني :

— أمن الـ . . « سويد » ، الآنسة ، أم من « النرويج » ؟

فراقت لها النكتة ، حتى افترّ ثغرها عن بسمة حلوة ، وأنا أمعن النظر اليها وأتحسّر : لو أنها أقل نحافة !

وأما الآخر ، ذاك الطالب السمين الذي نمّ مظهره عن روحه المرحة ، فلم أشأ أن أدعه والأوراق توزّع — دون أن أجعل من « بدانته » المفرطة محوراً لتعليق التمع في خاطري : لقد هممت بأن أناوله ورقة أخرى . . . فأشار مستغرباً :

— ولكنهم أعطوني واحدة !

فسألته :

— عفوا . . . أنت طالب واحد ؟ أم طالبان ؟ !

فاهتزّ للنكتة — وقد وجدها ناجحة ! اهتز لها جسمه كله .

قلت : اني نبّهت ، كعادتي ، المراقبين . ولكني وجدت أحدهم — ذاك المجعّد الوجه الصارم القسمات — يشيح بوجهه عني ، فكأن « توصياتي » لم ترق له ! فحدثت نفسي : حقاً ، ان وجهاً قد اعتاد الصرامة حتى تلبّسته قالباً ، لا أظن صاحبه بمتقبّل مني نصحي بأن يكون لطيفاً مع الناس ، مهما رقّت ألفاظي ولانت حواشيها ! وما خاب حدسي ، فلم تكد تمضي دقائق والسكون مخيّم ، حتى صحوت ، وصحا كل من في القاعة ، على جلبة هي ضربات برأس قلم ، أو لعلها من مفتاح حديدي ، كان صاحبنا يدق به طرف مقعد أمامه دقاً

متواصلاً متسارعاً متعالياً ، لفت به الانتباه حتى التفت عنده الأبصار جميعاً ، عندئذ توقّف عن دقّه ، وزعق مخاطباً من يبدو أنه في أقصى القاعة ، بصوت عريض هدّار :

— أنت يا من هناك ! عينك في ورقتك ! كفّ عن التلفّت نحو جارك !

كان هذا « الأسلوب » ، العلنيّ الصاخب ، في كبح « المحاولات » ، يزعجني أكثر مما يزعج الطلاب الغارقين في ملكوت أفكارهم ، يثير حساسيتي ، يغضبني ، حتى ليكاد يخرجني عن طوري !

تركت هذا المراقب « الصخّاب » في شأنه دقائق — وقد حسب أنه أحسن صنعاً — تمشيّت خلالها في ركن قبل أن أنتهي اليه . ثم همست في أذنه ، وأنا أداري امتعاضي :

— تبدو لي حديد النظر ، يا استاذ ! ان عينك لتلمح ، على البعد ، الطالب الذي « يحاول » !

أجاب مزدهياً :

— أستاذ ، ليكن في علمك ، أن الطلاب في قاعات الامتحان لا يؤتمنون ! ان أكثرهم فهماً وحفظاً لدروسه ، لا يتورّع عن محاولة الغشّ متى واتته الفرصة !

قلت أسايره :

— لعلني معك في ما تقول . ولكني افضّل أن يتمّ تنبيه الطالب بهدوء ودونما جلبة ، فذلك خير للطلاب وهم يبذلون جهداً في استجماع شتات أفكارهم . انك لتوافقني ، ولا شك ، على أنك لو سعيت إلى كل محاول حيث هو ، فطت على أذنه منبّهاً محذّراً ، كان في ذلك ما يجنّب الطلاب كافة أن نقطع عليهم ، بين اللحظة والأخرى ، حبل تفكيرهم . . . ألا ترى ذلك معي ، يا أستاذ ؟

— ولكني . . . ان تريّثت حتى أبلغ مكان الطالب ، تكون عينه ، تكون أذنه ، قد أخذت كل ما تريد !

— طيب ، أسرع الخطو اليه ، يا أخي ! !

ولست أدري على أي وجه استوعب كلامي ! فما هي الا هنيهة ، حتى كان قد اشتبك مع أحد الطلاب ، وكان هذا عريض المنكبين مفتول العضل ، حتى ليظنّ أن « المصارعة » احدى هواياته ! فهرع المراقب اليّ — كما يلوذ طفل بأمه ! — يشكوه ويستنصرني عليه (ألست رئيس القاعة ؟ !) . . .

أجل ، يا صاحبي .

لم يشغلني ، في ذلك اليوم ، أحد من المراقبين — وعددهم ثلاثة عشر — غير هذا الثرثار ولا شغلني أحد من الطلاب — وقد أربى عددهم على المئتين — إلا أولئك الذين أثارهم هذا الصخاب جلاّب المتاعب . . . أصفه لك بهذه النعوت القاسية ، دون أن يمسّ شغاف قلبي احساس بأني أظلمه أو أضطهده . والمؤسف أني ، مع ادراكي لحقيقته على هذا النحو الذي أبيّن ، وقعت في شرك نصبته لي روحه العدوانية ، ودفعتني اليه . . غفلتي ! !

أخذ يحوّم ، وأنا أراه من فوق المنبر ، حول طالبة في ركن من القاعة ، ثم لم يلبث أن مال عليها هامساً . كانت — كما أراها من « مطلّي » — مكبّة على ورقتها تكتب بصمت . أمعنت النظر اليها ، وهي تبعد عني بضعة عشر مقعداً ، فوجدتها وديعة رقيقة الملامح (وليست عريضة المنكبين أو مفتولة العضل) . ولكن لاح لي أن أوراق الطالب الذي يتقدمها مكشوفة لها بعض الشيء .

واذ أعلمني بيقينه من أنها تحاول الغشّ ، طلبت اليه أن ينبّهها باللفظ الحلو ! وعدت ههنا إلى نفسي ، وقد استرددت مرحي الذي تخلّيت عنه في الهنيهات التي سبقت ، وأخذت أفكر : لو كنت أنا الذي ينبهها ، لصغت لها ملاحظتي في مثل هذا القول المازح : « آنسة فلانـــة ! (أكون قد التقطت اسمها من أوراقها) متى انقضت حاجتك من النظر إلى ورقة جارك ، أرجو أن تبلغيني ، حتى أنقلك إلى مكان آخر ! » فتبتسم لي في استيحاء وقد أضيف ، اذا وجدت الظرف مواتياً » : انك ، ان لم تحصلي في هذه المادة على الدرجة العالية ، كنت لا ريب ملومة ! » ، فتسألني : « كيف ؟ » « لأنك جمعت إلى معلوماتك ما لدى جارك من معلومات ! » .

رحت أفكر ، على هذا المنوال ، خلّي الذهن مما تخبّئه لي هذه القاعة من مفاجأة ، وأنا أرنو إلى الطالبة قرير العين : الشعر كستنائي مقصوص ، أين منه الشعر الأشقر المسدل الذي أحبّ ! . . . بالاختصار لم يكن فيها ما يستلفت شاباً مقبلاً على الزواج ، يتمتّع بذوق صعب ومزاج غريب ! ثم لم ألبث أن أسرعت اليهما ، وأنا أحاور نفسي قائلاً : هو ذا صاحبي يثيرها فتنة أخرى ! ذلك أني وجدتها تتجهّم له ، لحظة انعطف عليها ، وتخاطبه بانفعال باد . . .

سألت الفتاة :

— خير آنسة ؟ ماذا هناك ؟

أجابتني بانفعال :

— يتهمني بأني أحاول الغش ، وأنا لا أرفع عيني عن أوراقي .

— هل ازعجك بقول ؟

— يهددني بأنه ، أن لم أكف ، سينقلني إلى مكان آخر ، ولكن ماذا أفعل حتى أكفّ عنه ؟

بدا لي جلياً أن صاحبي لم يخطيء ، هذه المرة ، ولكن كان للفتاة — كما يلوح — مزاجها الخاص الذي جعلها تحتدّ ، فتخاطبه — ثم ها هي ذي تخاطبني أنا — بلهجة لعلني لا أعدو الحقيقة اذا زعمت أنها لهجة انفعالية نزقة !

ومضيت عنها . فلحق بي المراقب يقول :

— أرأيت ، يا أستاذ ، كيف أن التساهل مع الطلاب في قاعات الامتحان ، يؤدي إلى أن يصرخوا في وجوهنا ، فلا نملك ازاءهم إلا الصمت ؟ ! .

كان في قوله شماته ساخرة . هل أخطأت الفتاة حقاً ؟ وإلى أي مدى ؟ لا شك أن بعض الناس ، بعض الطلاب ، ينبغي ألا يؤخذوا بما يؤخذ به سائرهم : الحسنى . ولكنها تدّعي أنها لا ترفع عينيها عن أوراقها . لم أحوّل لحاظي عنها ، وأنا فوق المنبر . فرأيتها وقد أرسلت ناظريها في لمحة خاطفة ، إلى أوراق من أمامها ، ثم عادت إلى أوراقها . هل كنت متوهماً ؟ ولكن مراقبنا الهمّام ، الذي كان لها بالمرصاد ، سرعان ما هبط عليها من خلف :

— كفّي ، يا آنسة ، عن محاولاتك غير الناجحة ، وإلا نقلتك إلى أقصى القاعة ؟

وسمعت صوتها ، وأنا أهرع اليها ، يلعلع باهتياج :

— ولماذا تتوعدني ؟ ! لماذا تضايقني ؟ !

— أنت تحاولين الغش !

— أن مثلي لا تحاوله !

واذ بلغت المكان ، رأيت الفتاة وقد انقلب لونها إلى ما يشبه الورس صفرة ، فحاسنتها القول :

— اهدئي ، يا آنسة . اضبطي أعصابك ، من فضلك ، واخفضي صوتك . ان المراقب لا يفعل شيئاً سوى أنه يقوم بواجبه .

— أمن واجبه أن يقلقني في ذهابه وايابه ، وأن يقطع حبل تفكيري ؟ عجباً ؟ كيف تسمحون لأنفسكم بأن تعكروا صفو طالبة تكتب بهدوء ؟!

وجدتني فجأة ، في قلب معركة « لم أتهيأ لها ، كنت فيها خصماً لمن لم أكن أحسب أو أريد أن أكون له خصماً . كان في قول الفتاة اتهام لي : « كيف تسمحون لأنفسكم . . . ؟ » ومع فهمي للأحوال النفسية العصبية التي يعانيها الطلاب زمن الامتحان ، لقد أغضبني منها أن تخاطبني بلهجتها النزقة ، وبحيث أثار الضوضاء ولفت الأنظار ، وأن تتهمني دون أن يبدر مني ما يسيء اليها ! ثم . . . لست أدري كيف أن الأمور ، الحوادث ، الكلمات ، أخذت تترى في سرعة خاطفة حالت بيني وبين أن أحزم أمري لاتخاذ الموقف الحكيم الذي يمليه عليّ حرصي على أن أوفر الهدوء والأمن لأحبائي الطلاب ! فعلى حين رأت الفتاة فيّ نصيراً — لخصمها : المراقب — عنيداً غير مهادن عمد المراقب نفسه إلى أن يستغل أبشع الاستغلال هذه اللحظة التعسة التي ظفر فيها بطالب يحاول الغش ، ولو بأبسط صورة . . . لحظة بدا فيها رئيس القاعة — الذي شدّ ما رآه متساهلاً متعاطفاً — واقفاً إلى جانبه يشدّ من أزره !

أخذ يقول للفتاة متشفياً :

— أنا راقبتك طويلاً ، حتى تأكدت لي محاولاتك العقيمة !

والفتاة تناشده ، وقد استبد بها ألم عميق :

— ارجو أن تكفّ عن هذا ! أنا لست بحاجة إلى أن أغشّ !

واذ بلغ الموقف هذه الدرجة من التأزم ، أشرت للمراقب أن يلوذ بالصمت ، دون أن أسمح لنفسي — أيضاً — بأن أدع الفتاة وشأنها ، وبخاصة بعد ما سبق من أمر الطالب المفتول الزندين ، والا وصمني المراقب بتهمة التساهل ، مضيفاً اليها الآن : تهمة التواطؤ !

وهكذا تراءى لي أن أقترح عليها :

— ما رأيك يا آنسة علياء (كان قد أتيح لعيني أن تلتقطا اسمها) في أن تغيّري مكانك إلى ...؟

قاطعتني بصوت أشدّ نزقاً :

— اني أسالكما أنتما الاثنين : ماذا جنيت ، حتى أنقل من مكاني ؟ !

وعلى حين اعتبرت هي « اقتراحي » هذا بمثابة « قرار » مني بمعاقبتها ، لقد وجد زميلي في الاقتراح « أمراً » صريحاً يقضي بأن تغادر الطالبة مقعدها في الحال ، فأخذ على عاتقه أن يتولى تنفيذه ، فاذا هو ينقضّ على ورقتها ، يسحبها من تحت يدها ، مهيباً بها :

— هيّا ، إلى ذلك المقعد الخالي !

فتشبّثت هي بالورقة بكلتا يديها ، صارخة بملء قوتها :

— دعني ! دع ورقتي !

وبعد أقل من ثانيتين ، وقبل أن أفيق من ذهولي ، كانت الورقة قد قدّت شطرين ، كل شطر في يد ! وكان لا بد أن يحدث ، الآن ، ما لم يعد منه بد : علا صوت الفتـاة في صرخات متقطعة متصـدّعة ، ثم انهارت على مقعدها ، دافنة وجهها في راحتيها ، منخرطة في نوبة بكاء ! ! !

أعترف لك ، يا صديقي ، بأني صعقت ! ولست أشك في أنك مصعوق الساعة ، وأنت تمرّ عينيك على أسطري هذه . ذلك موقف لم أكن أحسب له حساباً . هكذا وجدتني أنا الذي أتعاطف مع الطلاب ، وقد ألحقت بطالب — بطالبة — أذى وأي أذى ، وأنزلت بها هزيمة نكراء !

كيف توالت الأحداث ، حتى أفضت بي إلى هذه النتيجة المؤلمة ، لست أدري ! ولست أدري كذلك ، أي حظ ذلك الذي قاد خطوات عميد الكلية إلى القاعة ، في تلك الهنيهة ! ولله كم استحييت أن يراني — وهو أستاذي حتى الأمس القريب — وبين يدّي ورقة اجابة مقطوعة شطرين ، وأمامي فتاة قد غسل الدمع محياها الوديع : حطام معركة خضتها ، معركة لا تبعث على الفخار !

وأفلح العميد في مواساة الطالبة بكلمات وجدت لساني عاجزاً عن أن يتمتم بمثلها . وأخذها برفق — فانقادت له — إلى مقعد قريب من المنبر . ثم طلب مني ، بلطف بالغ ، أن أقابله في مكتبه لدى انتهاء الامتحان .

ولله كم احتقرت زميلي جلاّب المتاعب . اذ عرفت أنه انما تركني — بعد أن مزق الورقة نصفين — أنا والفتاة وجهاً لوجه ، ووثب إلى مكتب العميد يخبرهم : ان حادثة غش كبيرة تضبط صاحبتها متلبّسة ، في القاعة الرقم كذا ! . . شراسة لا حد لها ، ونزعه تخريبية تفوق كل تصور ، تضاف اليهما عقلة مني ما كنت أتوقع صدورها عني في يوم من الأيام ! !

ولكن ليس هذا كلّ ما في الأمر ، يا صديقي . أخذت أرنو إلى علياء (ها أنذا أذكرها لك باسمها المميّز لها عن سائر الطلاب . فلم تعد عندي رقماً بين أرقام !) : وجدتها على حق في ثورتها الشريفة . التي لم تكن فيها سوى انسان يدفع عن نفسه ما اعتقد أنه الظلم يحيق به . وأما بكاؤها ، فهو — كما نعرف — آخر ما تملك بنات جنسها من سلاح ، ولعله أوله !

راحت علياء تنسخ ، بهدوء صابر ، ما كتبته في ورقتها التي مزّقت . ثم تابعت الكتابة دون أن تلتفت أيما التفاتة إلى يمين أو يسار . وجدت قسماتها ، وأنا أمعن النظر اليها ، أكثر رفاهة . . . انها أكثر وسامة مما رأيت باديء ذي بدء . لماذا ! ولحظة تهمّ بأن ترفع عينيها إليّ ، كنت أيممّ وجهي إلى طرف آخر من القاعة ! لماذا ؟ . . . أسألك يا صديقي !

وعلى مسمع من العميد ، وقد ترافقنا اليه سوية ، أخذت علياء تقص تفاصيل ما جرى لها . كانت صادقة في روايتها ، دقيقة الملاحظة ، فصيحة جداً . . .

— أقلقني ، وهو ينبّهني إلى ما لم أرتكب . أولاً وثانياً وثالثاً . توعّدني بأني ، إن لم أكفّ نقلني إلى أقصى القاعة ! كفّي عن محاولاتك غير الناجحة ، محاولاتك العقيمة ! أنا راقبتك طويلا ! هيّا إلى ذاك المقعد الخالي ! ! ثم . . . مزق ورقتي ! ما أفهمه أن المراقب انسان قبل كل شيء ، انسان لطيف ، يقدّر . لم القسوة ؟ لماذا مناصبة الناس العداء ؟ أما أن يضايقني ، يتهمني ، يجور عليّ فلا أسمح له ، يصبح من حقي أن أدفع عن نفسي ، عن كرامتي . . .

راقني منطقها السليم ، وكلماتها المحددة ، وتحليلها . . . ذلك كله عين ما يعتلج في نفسي . . . ولكني اعترضت عليها :

— مع اقراري بصحة ما تقولين ، يا آنسة علياء ، فاني أذكر أن أوراق الطالب الذي يجلس أمامك ، بدت مكشوفة لك بعض الشيء ، وقد لمحتك ، مرة ، وأنت ترسلين اليها ناظريك ، وذلك عندما . . .

قاطعتني :

— مستحيل !

— لقد لمحتك أنا نفسي !

— خيّل اليك . ولعل الطالب الذي أمامي يجد ، هو ، حاجة لأن ينظر إلى ورقتي . انه . . . نعم ، أذكر ، انه يجلس في وضع مختلف ، ذلك أنه « أعسر » ، يكتب باليسرى !

استحضرت في ذهني صورته ، وهو مكبّ يكتب : حقاً حقاً ، كان يجلس في وضع مختلف ، مما يحمل على الظن أنه يكشف أوراقه . . . يالله ! أي وهم !

— أنا طالبة مجدّة . الأستاذ العميد يعرفني . لتسمح لي أن أبيّن لك بأني من « الأوائل » !

كم أحسست من خجل ! أي شرك أوردني اليه المراقب النزّاع إلى الشر ! أمثلها يحاول الغش ؟

— لقد جددت في دراستي هذا العام ، رغم الصّعب من ظروفي الشخصية !

والعميد يستفسرها تارة ، ويستفسرني ، ثم يؤمن على كلامها .

بدت لي علياء رائعة المنطق ، واضحة الفكر ، صريحة القول ، جريئة الفؤاد ، فخوراً بحق . انه الجمال في النفس ، في الروح ، يجعل بنيان « مواصفاتي » يتقوّض دفعة واحدة . أية سانحة فتحت عينيّ على مثل هذا الجمال الذي كان من قبل مستخفياً ؟ !

تدفّق في قلبي ، وأنا أصغي اليها ، شلال عاطفة . . . ماذا اسميّها ؟ شلال من حنان عذب ما أعرف أني استشعرت به قبل الآن ! وددت لو تتيح لي علياء أن أعبّر لها عن بالغ أسفي لما حدث بالاختصار : أن أعتذر لها عن خطأ ارتكبه زميل لي أحمق ، شاء أن يسلك أسوأ السبل في معالجة أصغر الأمور ، أو لأقل ، في اثارة مشكلة لا أساس لها ! !

ولكنها تعلن ، وهي تهم بالانصراف :

— آسفة ، يا أستاذ ، أنا آسفة جداً .

— بل ان الحق يقتضيني أن أبدي أنا لك أسفي .

— اني آسفة لما بدر مني من ضعف . لم يكن لي ان أثور . ولكن . . . كيف أعبّر ؟ إن أعصابي مرهقة . . . ليس بسبب الامتحان وحده . . .

وأمسكت عن الكلام . . .

ثم ودّعت ، واستدارت تغادر المكان .

اعتذرت للعميد ، شارحاً له كل ما أبدعه المراقب الصخّاب من فنون الاساءة ! فعجب ، وطلب مني أن أضع ، في الحادثة ، « تقريراً » أورد فيه كل ما أتاه في القاعة من تصرفات . وقد فعلت . فأبعد ، بعد تحقيق فوري ، عن مراقبة الامتحانات .

أبعد هو . ولكني أبعدت . أنا كذلك ، عن . . . علياء ! ذلك أني أجدني ، في كل يوم ، في قاعة ، في كلية من الكليات . وندر أن أعود ثانية إلى قاعة مررت بها يوماً ، وأندر من ذلك أن أصادف فيها الطلاب أنفسهم .

وأخذت أفكر في علياء .

علياء الثائرة ، ذات الصوت الغضوب الذي تردد في أرجاء قاعة الامتحان : « كيف تسمحون لأنفسكم بأن تعكروا صفو طالبة تكتب بهدوء ؟ » كان صوتها عذباً ، يرشح أنوثة ، مع ما فيه من حدة الغضب .

علياء التي ما كان لها أن تحاول الغش . ولكن افتئت عليها من مراقب قد اتّخذ من الشراسة وسيلة لتحقيق ميوله العدوانية . اعتدى عليها ، وتمكن بدهائه من أن يضعني في موقف لا يسعني فيه أن أتخلّى عن مؤازرته !

طفقت أفكر في علياء .

أخذت أجلس ، في قاعات الامتحان ، على المنبر ساهماً ، وقد فارقني مرحي ! ويوم تكون مراقبتي في كليتها ، أتوجه إلى مبانيها قبل ساعة من زمان : أجوس الممرات ، وأطرق دروب الحديقة ، ثم أعود فأطل على القاعات . . . تلوب عيناي في حلقات الطالبات بحثاً عن . . . علياء !

وكلما تقاصر ما بقي من عمر الامتحان ، أحسستني أكثر قرباً من علياء ، وأشد نأياً عنها ! أحسست أني أوثق معرفة بها ، لا ، معاني التفكير فيها ، ولكني مبتعد عنها ، بانتهاء الامتحان ، بعداً ما أحسب الأيام متيحة لي أن ألقاها بعد ذلك أبداً !

ان فتاة ممن أرى ، لم تعد لتسترعي انتباهي ! لهفاتي كلها اتجهت نحو علياء . « مواصفاتي » — كما تسميها لي ، يا صديقي — انهارت عند أعتاب علياء ، أصبحت أثراً بعد عين . . . فأضحى ما في علياء هو مطمحي ، وهو ما تصبو اليه نفسي :

عيناها العسليتان (لا العيون الخضر) هما أروع العيون ! ؟

شعرها الكستنائي القصير (لا الأشقر المسدل) هو أجمل الشعور !

البشرة الحنطية اللون ، الأنف العالي ، الشفتان المرهفتان ، هي أرق ما ينبغي أن تتحلّى به امرأة بين النساء !

أي انقلاب ! يا لها من . . . ساعة غضب !

جريئة ، حرّة ، ألمعيّة ، مجدّة . . . « لقد جددت في دراستي هذا العام ، رغم الصعب من ظروفي الشخصية ! » ترى ما الظروف الصعبة التي تعانيها ؟ آه ، ليتني أعثر عليها ، فأستوضحها ، لعلني أستطيع أن أساعدها في تذليلها .

وقد وجدتها .

وجدت علياء ، يا صديقي . . . ذات يوم . . . تجلس في مقعده في ركن من قاعة . .

ولكن ، عجباً : انها . . . تلبس السواد ! !

أسرعت اليها ألقي تحية الصباح :

— خيراً ، يا . . . علياء ؟ خيراً ؟

أجابت ، بعد لحظة صمت طارت فيها نفسي شعاعاً :

— قضاء الله حلّ بأبي . . . بعد ان اشتدّت عليه العلّة ، مع بداية الامتحان !

آه ، يا صديقي .

ان حزن العمر كلّه ، ان أحزان الدهر كلّها ، قد جثمت على صدري تلك الساعة ، خلال ساعات الامتحان الثلاث ، وأنا أدور حول علياء ، أرعاها بنظراتي ، أحوطها بحناني ، مقدّراً شجاعتها في تحمل الصعب ، واقدامها على متابعة الامتحان برغم المحنة الكبرى ، حريصاً على أن أمنع عنها شبح « مراقب » صخّاب آخر يظهر بغتة ومن حيث لا أدري ! !

وطفح الحنان في قلبي .

أسرتني علياء وهي في كبرياء حزنها ، مثلما فعلت بي وهي في رائع غضبتها ، ثم وهي في صفاء فكرها اذ راحت تروي في مكتب العميد ما حدث لها .

فاض الحب في قلبي ، يوماً بعد يوم ، وأنت في « الزبداني » تقضي أوقاتاً نديّة ، وتنتشق أنساماً عليلة ، وصديقك ، هنا ، يتّقد حزناً ووجداً وشوقاً . . . سعيت ، في أعقابها ، إلى أخيها الأكبر ، وقد انزاحت الغمّة من سماء الأسرة قليلاً . . . فطلبت منه أن . . .

فاستمهلني . . .

فصابرت النفس ، وأنت لا تدري من أمري شيئاً ، يا صديقي !

وبعد .

أنت ترى مطالع أيلول تهلّ ، فعودتك الينا باتت وشيكة .

وكما وجدتك — من نحو عام — حريصاً على أن أكون شاهداً في عقد قرانك ، فانك ستجدني — في الغد — وأنا أبادلك الحرص ذاته . . . منتظراً بفارغ الصبر أرأيت ، يا عزيزي ! ●

فاضل السباعي — دمشق

أخبار الكتب

* ما زال المخضرمون من المشتغلين بالأدب يذكرون المعركة الأدبية الحامية التي نشبت عام ١٩٣٩ بين الدكتور زكي مبارك والدكتور أحمد أمين . وكان موضوعها التراث العربي القديم والحكم عليه في ضوء التيارات الأدبية الحديثة .

وقد رأى الأديب الأردني الناقد الأستاذ حسين خريس أن يجمع مقالات زكي مبارك وكتابات أحمد أمين إلى جانب المؤيدين والمعارضين . ويصدر ذلك كله في كتاب كبير بنفس العنوان الذي عرفت به فصول زكي مبارك وهو « جناية أحمد أمين على الأدب العربي » . ثم وضع له مقدمة ضافية بين فيها منزلة زكي مبارك في الحياة الأدبية المعاصرة ، وأوضح ما لقيه في حياته من مثبطات . ورسم صورة جلية للعصر الذي عاش فيه مبارك وأحمد أمين . وأضاف من عنده الحقائق التي تجعل هذا الكتاب مرجعاً أدبياً ممتازاً .

وبهذا الجهد ، استطاع الأستاذ خريس أن يستخرج من بطون الصحف فصولا تاريخية كادت تهمل ، وأن يرفد الحركة النقدية بنماذج حية من اتجاهات النقد لدى قطبين كبيرين كزكي مبارك وأحمد أمين . وأن يبعث إلى الحياة فترة زاهرة من فترات النشاط الأدبي مضى عليها أكثر من ثلث قرن . وقد طبعت المكتبة العصرية ببيروت وصيدا الكتاب طباعة فاخرة .

* ومن كتب الدراسات الأدبية التي صدرت أخيراً « سيبويه والقراءات : دراسة تحليلية معيارية » للدكتور أحمد مكي الأنصاري ونشر دار المعارف و « مسرح محمد تيمور » للأستاذ علاء الدين وحيد ونشر الهيئة المصرية العامة للكتاب .

* صدرت للأديب الكبير الأستاذ محمود البدوي ، وهو من أوائل الرواد الأصلاء لفن الأقصوصة المعاصر ، مجموعة جديدة من الأقاصيص المستوحاة من حياته في الريف ورحلاته في أوربة عنوانها « العذراء والليل » وقد نشرتها دار الهلال .

* « البرتقال المر » عنوان رواية جديدة للأديبة السورية السيدة سلمى الحفار الكزبري صورت فيها حياة الشباب الذين اضطرتهم ظروفهم إلى الهجرة ، دون أن يفقدوا الارتباط العاطفي والحنين الدائم إلى الوطن . وقد حرصت الكاتبة على أن تمزج عنصري الصدق والخيال في روايتها مزجاً فنياً رائعاً ، فجاءت روايتها وجدانية من حيث بعض جوانبها ، وطنية من جوانب أخرى ، اصلاحية في جملتها . والرواية مسرودة على هيئة مذكرات . وفيها من الاستطرادات ما يفيد ويمتع في آن . وقد نشرت الرواية « دار النهار » في بيروت .

* وفي الأدب الروائي صدرت للأستاذ الكبير نجيب محفوظ رواية « حكايات حارتنا » عن مكتبة مصر ، ورواية « اللعبة التي انتهت » للأستاذ صبري العسكري عن دار الهلال . « وحديقة زهران » للأستاذ عبد الفتاح رزق عن الهيئة المصرية . كما صدرت مسرحية للأديب التونسي أحمد القديري عنوانها « أحلام قرطاج » نشرتها الدار التونسية للنشر ، وصدرت للمسرحي السويدي أوجست ستريندبرج مسرحيتان مترجمتان في مجلد واحد هما « رقصة الموت » و « الطريق الكبير » وقد ترجمهما الأستاذ محمد توفيق مصطفى وراجعهما الأستاذ عبد العزيز حسين ونشرتهما وزارة الاعلام في الكويت ، وترجم الدكتور ابراهيم الدسوقي عن القاص الفارسي صادق هدايت كتاب « قصص من الأدب الفارسي المعاصر » نشرته الهيئة المصرية . وصدر الجزء الأول من رواية « المراهق » لفيدور ديستوفيسكي من ترجمة الدكتور سامي الدروبي ونشر الهيئة المصرية .

* الأستاذ جروان السابق الذي تخصص في اصدار معاجم اللغات والمصطلحات ، أصدر أخيراً معجماً فرنسياً/عربياً كبيراً عنوانه « الكنز » يقع في أكثر من ١٢٠٠ صفحة كما أصدر « الكنز الوسيط » وهو معجم فرنسي / عربي مدرسي . وقد صدر المعجمان عن دار السابق في بيروت .

* وفي باب المعاجم صدر الجزء الرابع من كتاب « التكملة والذيل والصلة لمعجم تاج اللغة وصحاح العربية » من تأليف الحسن بن محمد بن الحسن الصغاني ، وهو يشتمل على الأبواب من حرف الصاد إلى حرف الفاء . وقد حقق هذا الكتاب الأستاذ عبد الحليم الطحاوي وراجعه الأستاذ عبد الحميد حسن وصدر عن مجمع اللغة العربية في القاهرة وطبعته دار الكتب .

* أصدر الأستاذ محمد عبد الغني حسن ديواناً جديداً من شعره الرقيق عنوانه « سائر على الدرب » ضمنه مختارات من شعره الذي يعرف القراء امتيازه بالجزالة وصدق المشاعر ودقة التعبير وشفافية الروح وقد صدر الديوان عن الهيئة المصرية .

* ومن الدواوين الجديدة التي صدرت أخيراً « ملحمة كفر أسد » للشاعر حسين خريس وقد نشرتها دائرة المطبوعات والنشر في عمان ، و « عاصفة الأمس » وهو ديوان شعر باللغة الفرنسية للشاعرة سلمى الحفار الكزبري وقد طبع في باريس و « الله والنيل والحب » للشاعر صالح جودت وقد صدر عن الهيئة المصرية ، و « أشرعة الجحيم » للشاعر عبد الأمير الحضري ، وقد صدر عن مطبعة الغرى الحديثة ، و « الأشواق الحائرة » للأستاذ سلمان هادي الطعمة ونشر العراق . و « أرجوحة في عرش القمر » للشاعر عدنان الغزالي .

وأصدرت مكتبة مصر بمناسبة الذكرى الأولى لوفاة الأديب المؤرخ الراحل عبد الحميد جودة السحار كتاب « هذه حياتي » وهو يسجل مراحل الطفولة والصبا والشباب في حياة السحار مكتوبة بقلمه الروائي الطلي . وعسى أن تكون هذه السيرة الذاتية بقية بين مخطوطات الأديب الراحل يسرد فيها قصة كفاحه في ولوج باب الحياة الأدبية ، وقصة « لجنة النشر للجامعيين » التي أنشأها السحار وخرجت عمالقة الأدب الروائي

المعاصر : نجيب محفوظ وعلي أحمد باكثير ومحمد عبد الحليم عبدالله وأمين يوسف غراب وعادل كامل والسحار نفسه .

* عن تاريخ الصحافة صدر كتابان جديدان هما « فجر الصحافة في مصر » للدكتور أحمد حسين الصاوي ونشر الهيئة المصرية ، و « الصحافة المغربية : نشأتها وتطورها » للأستاذ زين العابدين الكتاني وطبع المغرب .

* دراسات اسلامية جديدة صدرت أخيراً منها « الدعوة الاسلامية في عهدها المكي : مناهجها وغاياتها » للدكتور رؤوف شلبي ونشر مجمع البحوث الاسلامية بالأزهر ، و « دراسات في التاريخ الاسلامي » للأستاذ محمد باقر الناصري نشر دار الصادق ببيروت ، و« فنون القرآن : آيات مختارة وتفسيرها » للدكتور عبدالله شحاته ونشر الهيئة المصرية ، و « الدفاع عن القرآن ضد النحويين والمستشرقين » للدكتور أحمد مكي الأنصاري ونشر دار المعارف ، و « الاسلام في حضارته ونظمه » للأستاذ أنور الرفاعي ونشر دار الفكر ببيروت .

* صدر في بيروت للأستاذ عمر عبد السلام تدمري كتاب « تاريخ وآثار مساجد ومدارس طرابلس في عصر المماليك » .

* من الكتب التي تتناول مشكلات النفس كتاب « أصول الطب النفساني » للدكتور فخري الدباغ ونشر جامعة الموصل ، و « أبناؤنا المنحرفون » للسيدة أمينة السعيد ونشر دار المعارف في سلسلة « اقرأ » و « مشكلاتك النفسية لها حلول » للعلامة الراحل الدكتور صبري جرجس ، وقد نشر في سلسلة « اقرأ » أيضاً ●

كتب مهداة

حظيت مكتبة القافلة بالمؤلفات الجديدة التالية :

* « صور من حياة الصحابة .. » للدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا ، وهو كتاب يتناول فيه المؤلف جوانب من حياة عشرة من الصحابة ، ويقع في نحو ١٣٠ صفحة من الحجم المتوسط طبعت على ورق صقيل ناصع . وهو من منشورات دار النفائس ، ببيروت .

* العدد التاسع من مجلة « التوثيق التربوي » التي تصدر باشراف مركز المعلومات الإحصائية والتوثيق التربوي بوزارة المعارف بالمملكة العربية السعودية وهي تعنى بنشر الأخبار التربوية والثقافية والعلمية .

* « بنو الأثير .. الفرسان الثلاثة » للأستاذ محمد ابن عبدالله الحمدان . وهو كتاب صدر ضمن سلسلة «المكتبة الصغيرة» لصاحبها الأستاذ عبدالعزيز الرفاعي بالرياض ، يلقي فيه المؤلف بعض الأضواء على الإخوة الثلاثة أبناء الأثير وما خلفوه من نفائس الكتب والمخطوطات التي تزخر بها المكتبة العربية الاسلامية . ويقع الكتاب في ١٧٦ صفحة وطبعته شركة مطابع الجزيرة بالرياض .

* « صفحات مجهولة من حياة زكي مبارك » للأستاذ محمد محمود رضوان ، وهو دراسة يعرض فيها المؤلف صفحات مجهولة من حياة الأديب الراحل ، كما يلقي الأضواء على كثير من الأسرار الغامضة والجوانب المجهولة في حياة هذا الأديب .. وقد صدر الكتاب عن دار الهلال بتقدمة من الأستاذ صالح جودت .. وهو يقع في ١٧٠ صفحة من الحجم الصغير .

* « دماء وأشلاء » للأستاذ محمد مجذوب ، وهي الحلقة الأولى في سلسلة « قصص لا تنسى » التي يزمع المؤلف إصدارها تباعاً . وتعتبر هذه القصص من ذخائر التاريخ الاسلامي ، وهي صادرة عن دار النفائس في بيروت .

* « حزن حتّى الموت » للقاص الأستاذ فاضل السباعي .. وهي مجموعة قصص حاك المؤلف خيوط فصولها وحوادثها بأسلوب شيق ممتع . ويقع الكتاب في نحو ١٢٠ صفحة ، وهو من منشورات الدار الأهلية للتوزيع والنشر ، بيروت .

* « لعنة هذا الزمن » للأستاذ محمد علي المغربي ، وهو كتاب يعرض فيه المؤلف لاخطار الغزو الفكري الأجنبي ضد الاسلام ، ويدعو المسلمين إلى الحيطة والحذر وتدبر أمورهم وسط هذا الخضم الصاخب من العقائد والأفكار الهدامة .. ويقع الكتاب في نحو ١٦٠ صفحة طبعت في مؤسسة قنديل التجارية ببيروت .

* « فاجعة مايرلنغ » للشاعر عدنان مردم بك . وهي مسرحية شعرية من أربعة فصول تدور حول حادثة انتحار الأمير رودلف ولي عهد قيصر النمسا .. وقد أراد الشاعر في هذه المسرحية ، كما ورد في التوطئة أن يبكي الشباب الذاوي في مطامعه العالية وفي مباذله التافهة ، وأن يصف أحاسيس الشباب المتناقضة من غيرية مثالية إلى أثرة هي غاية في الأنانية . . وقد نظم الشاعر هذه المسرحية وهو في التاسعة والعشرين من عمره وظل محتفظاً بمخطوطها حتّى تم نشرها في مطلع عام ١٩٧٥ ، وهي من منشورات عويدات ، بيروت .

* « سائر على الدرب » للشاعر محمد عبد الغني حسن ، وهو ديوان يضم بين دفتيه قصائد نظمها الشاعر في مناسبات مختلفة عبر فيها عن مشاعره وأحاسيسه تجاه أصدقائه .
ويقع الديوان في نحو ١٦٥ صفحة تم طبعها على مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب .

* « من تاريخنا » للأستاذ محمد المجذوب ، وهي الحلقة الثالثة من سلسلة « قصص لا تنسى » يعكف المؤلف على نشرها في حلقات .. وهي تحكي أحداثاً تاريخية تتخللها صور ونماذج عن صراع الخير مع الشر ، والحق مع الباطل ، والإيمان مع الكفر ، إلى جانب مشاهد من المواقف البطولية المشرفة تجلت في عدد من المعارك الاسلامية .. وهي من منشورات دار القلم بدمشق .

* « الشاب الظريف » للأديب الراحل الدكتور زكي المحاسني ، وهو دراسة مستفيضة عن شاعر القرن السابع للهجرة ، شمس الدين محمد بن عفيف التلمساني ، صدر ضمن سلسلة « مفكرون من الشرق والغرب » ، وتقع الدراسة في نحو ١٦٦ صفحة تضمها أربعة فصول ، وهي من نشر دار الأنوار — بيروت .

* العدد الأول من « مجلة البحوث الإسلامية » التي تصدرها وتشرف عليها رئاسة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالرياض مرة كل ثلاثة أشهر ، ويسهم في تحريرها نخبة من العلماء ورجال الفكر .. وهي مجلة حافلة بالبحوث الاسلامية والفكرية الرامية إلى خدمة التراث الإسلامي والحفاظ عليه ونشر الوعي الاسلامي وتعاليمه الحنيفة ..

* « أطياف من الماضي » باقة شعرية جميلة للأستاذ الشاعر محمد عبد القادر فقيه يضمها كتيب أنيق صدر ضمن سلسلة « المكتبة الصغيرة » لصاحبها الأستاذ الأديب عبد العزيز الرفاعي بالرياض الذي قدم الباقة في اطار بديع من أسلوبه الرفيع وتقع المجموعة في ١١٢ صفحة ، وطبعت في شركة مطابع الجزيرة بالرياض ●



من عجائب الكون

الجبال

قلم : الأستاذ خليل هنداوي

يقول العالم الجيولوجي « أرجان » : « لنصغ إلى الأغنية القديمة الرائعة، التي حيّت بها البحار الكثير من الأغوار التي برزت إلى النور » .

إن الجبال التي تشققت عنها البحار ، بالتناوب ، تمثل التوازن الأبدي ، على سطح أرضنا ، منذ العصور الموغلة في القدم .

والقمم العالية ، أول ما ظهرت ، كانت تطرز الأفق كأمواج ، ولكنها أمواج عارمة ، متجمدة ، منحوتة من الصخور .

وفي هذا العالم المتجمد ، لا ترى العين الا قمماً مسنونة ، وثلوجاً ممدودة ، وهوات فاغرة ، وأشداقاً واطئة ، ولا شيء منها يذكر بالأعماق المطمئنة في قاع البحر .

وحين كان الحجاج — وهم يعبرون المسالك العالية — يجدون هذا الركام من الأصداف ، على منحنيات المضايق ، تأخذهم النشوة من هذه المعجزة الإلهية ، بينما لم ير فيها غيرهم الا لعبة من الأعيب الطبيعة .

فتى من جبال الألب يرتقي هذه القمة على ارتفاع اربعة الاف متر ، وقد بدت الثلوج من حوله تحتضن سفوح الجبال .

أما اليوم ، فقد عرف العلماء أنها لم تكن إلا بقـــايا أعضاء نامية حية وأنواعاً من الكائنات انقرضت . كانت تعيش في أعماق البحار . والصخرة المكتنزة التي طمرت هذهالكائنات تحتها ، إنما هي الطين القديم الذي ترسبت ثم تحجرت فيه .

وغالباً ، نجد هذه الأجرام العميقة كانت ترتفع ، ويطول عمرها مراراً ، ويتجدد لأننا نشهد فيها مطمورات مخلوقات برية ، ومطمورات مخلوقات بحرية .

على أن هذه الحركات الواسعة المدى ، التي ظهرت ، على عصور متعاقبة ، متطاولة ، لم يكن ظهورها على حين فجأة ، كما هي الحالة في الحركات التي يلدها الطوفان والبركان .

في تلك الأيام ، تكونت الثلاجات الضخمة ، وكونت جبالاً . لكن فعاليتها تختلف عن فعالية العصور . ففي « المكسيك » مثلاً ، ظهر ، على مرأى منا ومسمع ، البركان (ياريو كوتان) في ليلة واحدة ، ثم أخذ ينمو ويتسع ، وفي لحظات معدودة ، بدأت ألسنة من اللهب ، تقذف الحمم من جوفه ، حوله .

وفي عام ١٨٧٩م ، طوى بركان « فيزوف » بايطاليا ، تحت أمواج رماده اللاهبة ، مدناً عامرة بسكانها .

ولكن بحسب الأعمار الجيولوجية — لا يأتي هذا الثوران حادثاً لابن يومه ، أما بحسب تسلسل التكوين ، فهو حادث تابع لما قبله ، اذ ينبغي أن يكون هنالك ، عدة ثورانات متتالية ، لتتمكن فيه من انشاء جبال بركانية أخرى .

على ان التاريخ القانوني لتكوين الجبال ، هو في نظرنا ، تاريخ بطيء جداً ، وهل نحتاج إلى أن نتذكر الصورة المعروفة القائلة « إن ورود الصباح لا ترى البستاني وهو يشيخ » كذلك الأمر في حركات الأرض . هل يكفي صباح واحد لمشاهدتها ؟ وان الف سنة ، في عمر الأرض تمر كما يمر لمع البرق .

إن بعض الترسبات تنشأ رخوة من أعماق البحار ، وبعضها ينشأ من تراكم المرجان ، وطبيعتها يمكن أن تتبدل مع الزمن ، تبعاً لمؤثرات مياه البحر ، وتبدلات نشأتها الحيوانية .

وفي — الوقت ذاته — مراقدها المختلفة التي تنضد على أشكال أغطية المائدة ، ثم تبلغ حداً من الصلابة والثخانة ، يسمح لها بأن تؤلف كياناً جديداً مستقلاً بنفسه .

المائدة وأغطيتها تبرز من بين الأمواج . فأية قوة طبيعية قذفت بها إلى الأعلى ؟

ان العلماء يختلفون في تعليل ذلك ، ولكنهم يتفقون على ان العمل يتم على تلك الصورة ، وأنه تكرر عدة مرات ، منذ بداية وجود الأرض ، ويعرفون ان كل ارتفاع على مدى واسع ، أياً كان شكله ، وفي أي موضع بدا ، انما نشأ بعامل انخساف مواز للارتفاع ، ينتظر ، عدة عصور ، بداية الحركة المنعكسة فيه .

وهكذا لا تفتأ تجاعيد الأعماق في صعود وانخفاض ، على مدى عصور جيولوجية وحين انبجاسها نجد قاعدة البحر العميق التي تتخلخل قليلاً أو كثيراً ، تتحمل دائماً الأغطية الرسوبية ، ممزقة هنا ، ومقلوبة هناك . وفي هذه الحالة تتكون مادة سلسلة من الجبال .

على ان جزءاً من هذه المادة يكون قاسياً ، صلباً بفعل تعاقب العصور ، وهذا الجزء الأكثر تقادماً هو الذي يؤلف القاعدة التي يرسخ عليها بنيان الجبل .

على ان هذه القاعدة نفسها يمكن ان تتحطم كما يتحطم لوح زجاجي ، وهناك كثير من هذه القواعد تهشمت ، وتفتتت وليس ببعيد أن تترك بينها فجوات واسعة ، طبيعية سوية الخطوط ، على مدى ألوف من الأميال ، كما نشاهد في طول افريقيا وعرضها ، بحيرات شاسعة الأطراف ، لعل أكثرها اتساعاً هو البحر الأحمر .

على أن هذه الأغطية الرسوبية الأكثر حداثة وليونة ، هي على خلاف المادة الفخارية ، انها قد تكونت من الصخور الصلبة ، لكن الطبيعة ، في آماد من ملايين السنين ، قد تعجن هذه الصخور وتلينها ، وتنحت منها طوايا لا يحصرها العد ، بسيطة او مركبة ، دائمة او متحولة ، وغالبها قد تكون متطاولة او متكسرة ، شبيهة بطوايا الأغطية .

وان وضعها في مواضعها قد كلّف زمناً طويلاً ، ولا أحد يدعي أن هذا الزمن كان أسرع من زماننا ، ولا أحد يفسر نشوءها بالهزات الأرضية ، والذبذبات المخيفة ، فيكون منها زحولات ضيقة جداً ، ولكن حين تتوالى هذه الهزات ، ملايين المرات ، فان هذه الزحولات تتسع .

هذا النهر الجليدي المعروف بنهر « بيلارد » يعد من أروع الأنهر الجليدية في العالم ، ويقع في جنوبي الألاسكا . وأبرز ما فيه شكله الهندسي المتوازي الذي يتخذه في انحداره ومسيله .

ومنذ بدأت الجبال تتشقق من قلب الأمواج ، أخذت تتحمل تأثير العوامل الجوية فيها . ذلك التأثير الذي لا حد له ، والذي لا يزال يتجدد .

ان ناحت الحجارة في الطبيعة هو التآكل الذي يعمل بآلات متعددة ، مجتمعة أو متعاقبة ، لكن الطبيعة لا تنحت أبداً على مثال النحات الذي ينحت تمثاله ، بحسب فكرة مقصودة ، على شكل مقصود ، انها في نحتها ، لا تترك وراءها الا خرائب . . خرائب ضخمة يعمل فيها البلى .

وهناك بعض مشاهد لهذا التآكل ، تأتي سريعة ، واضحة الرؤية ، فانصباب مياه الأمطار في المنحدرات بامكانه ان يحول اجزاء من الأرض الطرية إلى أشكال غريبة ، انها دعائم فصلتها الأمطار من حجارة هرمة ، كل دعامة منها ، في قمتها ، تحميها صخرة قاسية ، كأنها قبعة فوق رأسها ، لكنها هشة القاعدة ، مهددة بالسقوط ، عاجلاً او آجلاً . انها مسلات ضخمة ، أخذ بعضها برقاب بعض ، حولتها المياه إلى مجموعة من الحصوات الدقيقة .

واخيراً نرى هذا الجدول الصغير الذي ينحدر من الأعلى هادراً ، جارفاً معه أجزاء من الجبل المتآكل ، يطمئن شيئاً فشيئاً ، ويختنق في احدى الفجوات المسدودة ، فارشاً تحته بقايا ما جرفه .

بأمثال هذه العمليات المكرورة ، تنقطع الجبال ، ويكون منها الأودية ، وهذا العمل يتخذ اشكالاً مختلفة تبعاً لمادة الصخور ودرجة صلابتها ، فمن أشكال على أرداف مستديرة ومنحدرات منتظمة ، ومن أشكال برؤوس مسنونة ، وحفر عميقة وأطباق كلسية .

فالصخور الأكثر صلابة ، كالصوان ، والصخور البلورية تتجمع في أحناء القاعدة وإذا كانت على امتداد واسع كان منها جبال قائمة بذاتها ، كما نرى في جبال « الألب » . وكثير منها يؤلف رؤوس القمم الشاهقة من هذه الجبال . وهنا يبدأ عمل الثلج والجليد ، والثلاجات الضخمة .

هذه الثلاجات التي لا ينقطع عنها المدد ، هي أنهار عريضة ، لأبحار ممدودة ، وثلوج دائبة الحركة ، تتجمع في مجار صلبة ، مصمتة ، وينمو بعضها من بعض في حنايا الأودية .

والثلج يحدث ، غالباً ، تآكلاً في التربة ، سريعاً ، وهطوله المتوالي يخل بكل شيء والرياح التي تصاحب هطوله كافية لتحطيم الأشجار .

لكن هذا الثلج الذي ينحت الأشكال الكبرى ، نراه — في الأعالي ، يقطع الحجارة إلى كوات غير نافذة ، ذات اعماق عريضة وأجواف عمودية ، وهو في الأسافل — يحفر أودية ذات أطراف مجعدة ، وأغوار عريضة أو مسطحة ، تشبه معالف مصبوبة من ثلج .

التي تحدثها ، يبدأ تآكل السواقي عمله فوراً . ففي الوادي الثلجي يشكل الماء بحيرات على السطوح ، خلف الجرافات ، ويجتاز المتاريس بمسايل ضيقة ، أو بشلالات مزبدة ، مما يعمل هذا كله على محو آثار الثلاجة ، بل على محو الجبل ذاته ، لكن هذا التخريب قد لا يأتي كاملاً .

على ان مثل هذا الجبل الهرم المتآكل قد يرتفع من جديد ، ورب تآكل جديد يستطيع أن يجدد وجوده باحياء أشكاله . . ومثل هذا



بعض التكوينات الجبلية في منطقة عسير في المملكة العربية السعودية كما ترى من الجو على ارتفاع عشرة آلاف متر .

وعلى طول تساقط الثلوج ، تجرف الثلاجة في انحدارها ، الحجارة التي طرحتها الجبال عليها ، فتؤلف بذلك « الجرافات » وليست ثلاجات الجبال القائمة اليوم مهما ضخمت — الا بقية ثلاجات الأمس ، تشهد العين فيها آثار الثلاجات الكبرى ، في الكوم المنعزلة التي جرفتها من صميم الجبال — وبصورة خاصة — تشهدها في الجرافات الهامدة ، المملوءة بالحصى ، والحجارة التي تركتها حول مؤخراتها ، وهي لا تزال في مراحل الكر والفر . ولكن الثلاجة بعد أن تجرف معها الأرض

الجبل — وهو في سن الشيخوخة — يمكنه أن يكمل نشأته ، ويبدأ بالارتفاع ، معتمداً على جذور فتية حية فيه .

ان حياة دائمة أطول من حياتنا — سواء أكانت بطيئة أو سريعة — تستحيي أجزاء كبيرة من أرضنا الفانية ، حتى ينغمر كل شيء في الماء ، بانتظار ولادة جديدة .

وبعد هذا العرض الوجيز في تكوين الجبال ، نتساءل : كيف استطاع الانسان أن يقهر الجبال ؟ منذ أمد طويل ، بعد أن استغل هؤلاء الرجال الذين نزلوا الأرض حديثاً ،

السهول . ظل الجبل يروعهم بألغازه واسراره . . فالمنحدرات العسير اقتحامها ، والقمم العصية الصعب ارتقاؤها والضحايا التي تهلكها مهاوي الصخور ، ومساقط الثلوج ، والأنهار التي يستحيل عبورها ، والحيوانات الضارية التي تترصد فرائسها ، أضف إلى ذلك المناخ القاسي في الجبال ، ونضوب الأعشاب وقلة الأشجار وغزارة المطر المدرار والصواعق المنقضة ، وخلود الثلج على القمم . وهذه الأكوام الثلجية المعلقة التي تزيغ منها الأبصار رعباً .

كان الجبل منزلاً مشاعاً يأوي اليه الضعيف قوة ، والقليل نفراً ، والمضطهدون . وان كثيراً من القبائل المهزومة أمام الغزاة . لجأت إلى الجبل ، حيث وجدت حياتها وأمنها في انعزالها ، وتحينت الفرصة لشحذ عزائمها . ثم الانقضاض على سكان السهول ، فارضة عليهم سيادتها وجعالتها .

وبعض هؤلاء الرجال بحثوا في الجبال عن منازل يتأملون فيها ويتنسكون ، وبين هذه المسالك الوعرة راح هؤلاء الكهان والعباد يبنون مساكن لهم وصوامع ، يعيشون فيها نائين عن الأرض ، قريبين من السماء .

وهكذا ظل سكان السهول — خلال عصور متطاولة ، يجهلون سكان الجبال ، والمسافرون يروون أقاصيص غريبة ، مثيرة . نسجوها حول اجتيازهم جبال « الألب » الشاهقة ، وأكثر ما كان يدهشهم ان يروا هؤلاء الرجال قادرين على الحياة ، في مثل هذه البيئة المضنية ، المخيفة . ينجزون في عدة اسابيع — عمل سنة بتمامها على ظهورهم بلا انقطاع حصاد ارضهم إلى أكواخهم ، ويظلون شهوراً عدة سجناء الثلوج ، منعزلين عن العالم .

جاء دور الأدب — بعد عصر الأديب « جان جاك روسو » يكتشف جمال الجبال ، ونقاء الهواء ورقة السواقي الجارية ، ورفيف الأزهار ذات الألوان الساطعة المختلفة ، ويمجد البساطة في أخلاق سكان الجبال ، ويصف صعودهم وهبوطهم على مر الفصول .

وباستثناء بعض الصيادين الذين كانوا يجوسون الجبال ، ويعلون ما استطاعوا العلو فان القمة العالية ظلت عذراء .

ولكن ، اما لسكان السهول أن يقهروا هذه القمة ؟

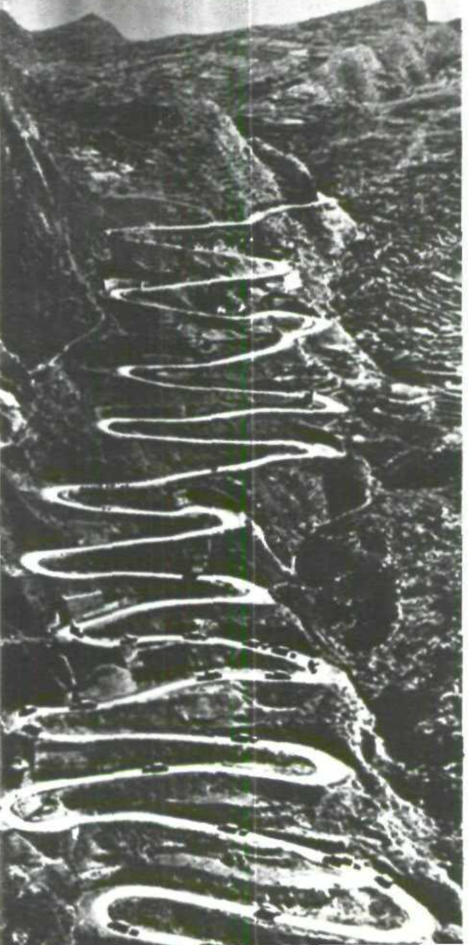
ان هي الا هنيهة من الدهر ، في القرن التاسع عشر ، حتى رأينا الجبل تشقه الخطوط الحديدية بارادة الانسان الصلبة ، وتفتح فيه الأنفاق على مسافات بعيدة ، وتتعرج فيه الطرق بدوائر لولبيه . ولعل جبال الألب تكاد تكون أغنى الجبال بأنفاقها الطويلة ، وطرقها المتعرجة .

وهكذا رأينا الخطوط الحديدية . والطرق المعبدة تنتصر على أعتى الجبال . وبفضلها صار السياح يغزون الجبال . إما بغرض التنزه ، أو الرياضة أو الاستمتاع بمشاهدة الطبيعة الفاتنة او التزلج على مهابط الثلوج .

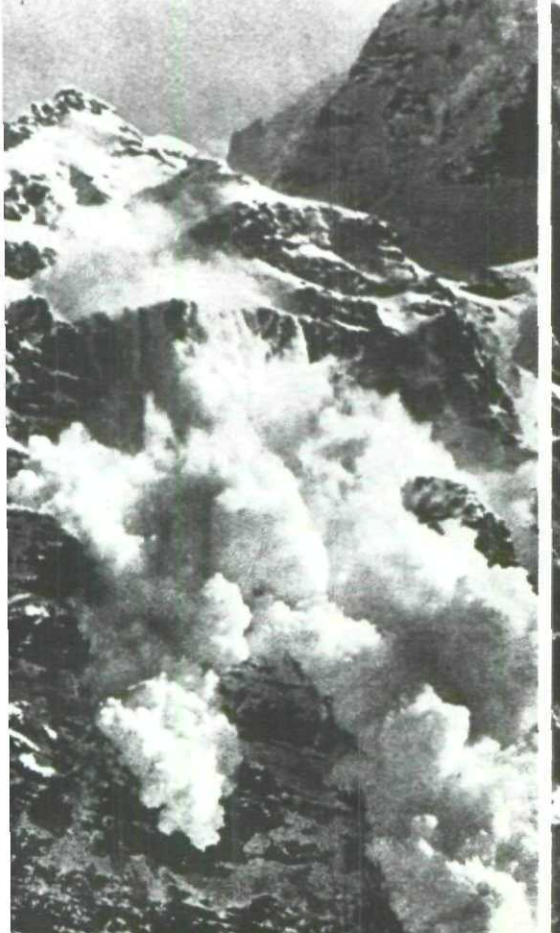
وكان من هؤلاء السياح بعض المغامرين الذين خلدوا اسماءهم بانتصارهم على القمم



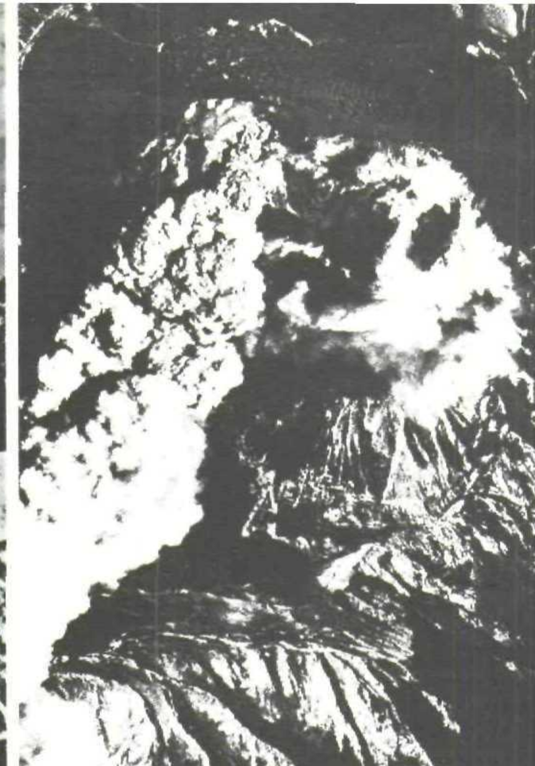
جبال « الأولمب » في اليونان يحوطها ضباب كثيف .



طريق جبلي متعرج شقه الانسان ليصل السهول بالذرى

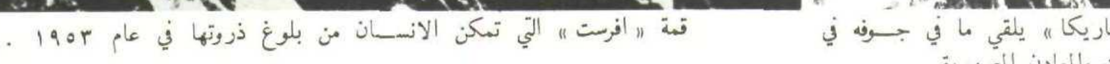


على منحدرات جبال الألب تتراكم الثلوج ، وعندما تهوي هذه الثلوج تجرف كل ما يعترض سبيلها .



بركان في «كوستاريكا» يلقي ما في جوفه في بحيرة من الكبريت والمعادن المصهورة .





قمة «افرست» التي تمكن الانسان من بلوغ ذروتها في عام ١٩٥٣ .



ثلوج تراكمت على منحدر احد الجبال فبدت وكأنها لوحة ابدعتها يد فنان .





«التلفريك» أحد مبتكرات العصر ، وهو من وسائل النقل الحديث .



إحدى القمم الشاهقة من جبال «الأند» ويبلغ ارتفاعها ٣٣٤٠ متراً ، وهي تطل على أودية سحيقة من الجليد ، وقد استطاع الانسان لأول مرة أن يبلغ ذروتها في عام ١٩٥٢ .





جانب من سلسلة جبال «الأند» يحجبها بحر من الغيوم والسحب البيضاء تطفو فوق امواجها القمم السوداء .



التي لم تطأها قدم انسان . ولكن ما كان أكثر الذين فقدوا حياتهم منهم . في هذه المغامرات . وكانت أدواتهم اللازمة تشتمل على حبل . وأحذية ذات مسامير ناتئة ، ومخفار صغير لقطع الجليد .

وأول تسلق مشهور هو تسلق «جاك بالما» و «ميشيل باكار» لقمة جبل «القمة البيضاء» ١٧٨٦م ، ثم تعاقب متسلقون آخـرون . ليجمعوا معلومات جيولوجية ، وطوبوغرافية كثيرة .

وبعدما أصبحت جبال الألب معروفة . اتجهت أنظار المتسلقين إلى مناطق أخرى . كمناطق البحيرات الانجليزية . وجبال النرويج . وجبال القفقاس . وكليمنجارو بأفريقية .

وشيئاً فشيئاً ، ذللت الآلة الحديثة هذه القمم . وبواسطتها انبرى المغامرون لقهر قمم «الهيملايا» يتنفسون الهواء بضيق . ويبذلون الجهود المضنية ، في ظروف مناخية ، صعبة . لا تجرؤ نسور الجو على أن تحلق عليها .

وفي سنة ١٩٥٣م استطاع النيوزيلاندي «أدمون هيلاري» برفقة راع من المنطقة نفسها أن يبلغا قمة جبل افرست في «الهيملايا» . ويقفا وقفة الانتصار فوق القمة التي تناطح السماء.

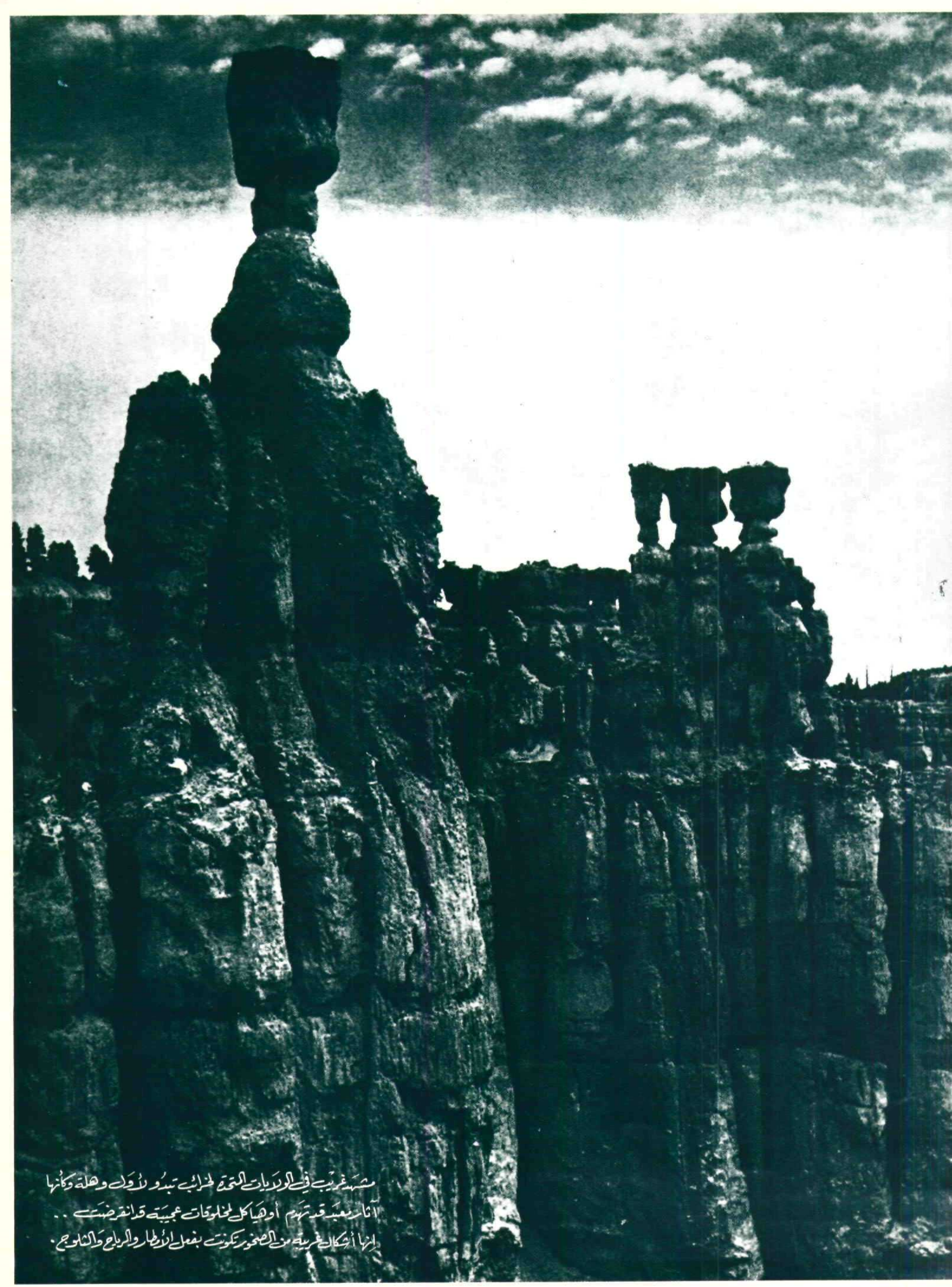
كذلك أسهمت الآلة الحديثة في قهر الجبل . . فأمواه بحيرات الجبال المنقولة . نحو الأودية عبر اقنية مضغوطة . تولد قوة أعظم من قوتها . وهي تنحدر من ارتفاع شاهق . كما ان السدود رفعت في الأودية العالية . والمصانع جمعت حول مراكز توليد القوى الكهربائية . والأدلاء ينقلون إلى ذرى الجبال السياح بواسطة الحبال الضخمة الشبيهة بخيوط العنكبوت ، التي تجر البيوت بواسطة الكهرباء .

ورويداً رويداً . استحال هذا الجبل الوعر المخيف كائناً انيساً . ذلولا . واذا جاز لنا في بعض الحالات . أن نرثي له . فان عمل الانسان فيه . قد اغنى — في أحوال كثيرة — المشاهدة الطبيعية فيه . وأبقى عليها . أما المناظر الجميلة فقد امتدت اليها يد الحماية والصيانة . وفي الولايات المتحدة انشئت حدائق عامة . يستمتع الانسان فيها بالجمال الطبيعي الفتان . ويتمكن علماء الطبيعة من دراستها دراسة علمية .

واخيرًا نجد على قمة جبل «بالومار» في امريكا . وفي سويسرا ، وفي فرنسا . نشاطاً من نوع جديد حيث علماء الفلك ينصبون مناظيرهم المكبرة . ومخابرهم . يرصدون — خلال جو رحيب الأماد — الأشعة الكونية من كل نوع . النور المرئي . والطيف غير المرئي والأمواج الاشعاعية الهرتزية . والأشعة الفضائية التي تنطلق من النجوم .

وهكذا قهرت معجزة الانسان معجزة الطبيعة ، وما المعجزتان الا وجه المعجزة الكبرى لمن أبدع هذه الأكوان . وخلق هذا الانسان سبحانه . جلت قدرته وتعالى شأنه ●

خليل الهنداوي — حلب



مشهد غريب في الولايات المتحدة لخرائب تبدو لأول وهلة وكأنها آثار معبد قد تهدم أو هياكل لمخلوقات عجيبة قد انقرضت ..
إنها أشكال غريبة من الصخور تكونت بفعل الأمطار والرياح والثلوج .



جانب من سوق السجّاد في مدينة الطائف

تصوير: شيخ أمين